اللسانيات العربية

Allisaniyat Al Arabiyah

مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز الملك عبدالله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية

العدد ٦ ربيع الآخر ١٤٣٩هـ يناير ٢٠١٨م

- اللغة ونظرية الذهن: مبادئ معرفية وذهنية.

- المظهر الإبداعي للغة: مقاربة أدنوية-إدراكية.

- لسانيات المتون بين القبول والرفض قضايا إبستمولوجية ومنهجية.

- السّمات الدلالية للمتصلات و هندسة توزيعها في التركيب: دراسة مقارنة.

- الرابط بين الموضوع والمحمول في تراكيب الإسناد الاسمي والفعلي: نحو تحليل كلي وموحد.

- الشاهد النحوي بين الطبيعة والصناعة.

- مراجعة كتاب:الإطار المعياري العربي لتعليم العربية للناطقين بغيرها (تَعْليم – تَعَلُّم – تقويم).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

هيئة التحرير:

أ.د عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي

رئيس التحرير

د. ناصر بن عبدالله الغالي

مدير التحرير

أ.د. عبدالرّحمن بن حسن العارف

عضو هيئة التحرير

أ.د محي الدين محسب

عضو هيئة التحرير

د. محمد لطفي الزليطني

عضو هيئة التحرير

د. عبدالعزيز بن عبدالله المهيوبي

أمين المجلة

الهيئة الاستشارية

أ.د. ابراهيم بن مراد (تونس).

أ.د. بسام بركة (لبنان).

أ.د. سعد مصلوح (مصر).

أ.د. عبدالقادر الفاسي الفهري (المغرب).

أ.د. علي القاسمي (العراق).

أ.د. محمد صلاح الدين الشريف (تونس).

أ.د. محمد غاليم (المغرب).

أ.د. محمود إسماعيل صالح (السعودية).

أ.د. محمود فهمي حجازي (مصر).

أ.د. نهاد الموسى (الأردن).

أ.د. يوسف الخليفة أبو بكر (السودان).

اللسانيات العربية

Al Lisaniyat Al Arabiyah

مجلة علمية فصلية محكمة

ربيع الآخر ١٤٣٩هـ - يناير ٢٠١٨ م

الإسهامات

ترسل البحوث باسم رئيس التحرير

ص.ب ٢٩٨٨ الرياض ١٨٤٥٢

المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٧٢١٥٦٩٨ - فاكس ٤٧٥٢٣٦٩

www.kaica.org.sa

للاشتراكات السنوية

مراسلة بريد المجلة

arabiclisa@kaica.org.sa

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

محتويات

6

اللغة ونظرية الذهن: مبادئ معرفية وذهنية.

د. عبد العالي العامري

26

المظهر الإبداعي للغة: مقاربة أدنوية-إدراكية.

ناصر فرحان الحريّص.

60

لسانيات المتون بين القبول والرفض قضايا إبستمولوجية ومنهجية.

د.صالح بن فهد العصيمي.

99

السّمات الدلالية للمتصلات وهندسة توزيعها في التركيب: دراسة مقارنة.

د.عبد الكبير الحسني.

الرابط بين الموضوع والمحمول في تراكيب الإسناد الاسمي والفعلي: نحو تحليل كلي وموحد.

إبراهيم لحمامي.

132

الشاهد النحوي بين الطبيعة والصناعة.

رفيق بن حمودة.

منانة حمزة الصفاقسي.

158

مراجعة كتاب:الإطار المعياري العربي لتعليم العربية للناطقين بغيرها (تَعْليم – تَعَلُّم – تقويم).

د. إسلام يسري علي الحدقي.

193

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

لسانيات المتون بين القبول والرفض: قضايا إبستمولوجية ومنهجية

د.صالح بن فهد العصيمي(*)

ملخص البحث:

يعرض هذا البحثُ الجدل الدائر حول لسانيات المتون (المدونات) اللغوية (language corpora)، وحول استخدام المتون اللغوية في الدرس اللغوي، والإشكالات التي أوردها منتقدوها، والأجوبة التي طرحها المهتمون بها. ويربط هذا الجدل بأصوله المعرفية (الإبستمولوجية) لكلا الفريقين، باسطاً النقاش حول المصطلحات ذات العلاقة سواء لدى الرافضين أو المؤيدين والتي استُخدمت أسلحةً يستعين بها كل فريق لتأييد وجهة نظره، وكذلك يسلط الضوء على أنواع لسانيات المتون ومنهجياتها التي بزغت في خضمّ هذا الجدل العلمي العميق. ويخلص إلى أن من يرفض هذا النوع من العلوم لا يرفضه لذاته بقدر ما هو رفض للمنهجية التي يقوم عليها. كما أن من يستخدمها لا يزعم أنها بدون حدود وقيود يجب الاعتراف بها.

Abstract:

This paper presents the debate on corpus linguistics, the use of corpora in language classroom, the questions posed by its critics, and the answers by those who are advocates of it. This debate is linked to the epistemological origins of both groups. The discussion focuses on the relevant terminology and arguments used by each team to support their stance. It also sheds

*- أستاذ التربية واللغويات التطبيقية المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

light on the types and methodology of corpus linguistics that emerged in light of this profound scientific debate. It concludes by saying that those who reject this kind as much as rejecting the methodology on which it is based, and that those who use it do not claim that corpus linguistics can be used without limitations which must be recognized and acknowledged.

مصطلحات البحث:

أداء performance، استقراء تام accountability total، تأمل introspection، توليدية generative، دحض falsification، كفاية competence، لسانيات إدراكية cognitive linguistics، لسانيات بنيوية structural linguistics، لسانيات المتون (المدونات) corpus linguistics، المدرسة الشكلية school formalist، المدرسة الوظيفية functionalist school، مدعوم (مستأنس) بالمتون informed-corpus، معتمد على المتون based-corpus، موجّه بالمتون driven-corpus، النظرية السياقية للمعنى theory contextual meaning of.

تمهيد: تأصيل إبستمولولجي:

لغرض هذا البحث ولحصر حديثنا حول لسانيات المتون وإشكالاتها المنهجية، سنتابع ماكنري وهاردي (Hardie & McEnery, 2012:168) في تقسيم مدارس التفكير اللساني إلى مدرستين رئيسيتين[1]:

1) المدرسة الشكلية (Formalist School): وهي التي تنزع إلى تحليل اللغة ووحداتها منعزلة، أو لنقل، مستقلة عن أي عامل خارجي عنها كالسياق والمعنى والوظيفة. فهي تحصر نظرها في ما تراه أمامها من شكل البنية اللغوية. وقد ذكر كريستال (Crystal, 1980:185-6) أن كلمة form (أي شكل أو بنية)، حين تطلق مقابلة لكلمتي meaning (معنى) أو function (وظيفة)، تشير إلى البنية

1- قد يجد القارئ بعض الاختصار والاختزال هنا؛ لكنه مقصود لكي يقتصر النقاش -قدر الإمكان- على ما نحن بصدده دون الإغراق في التفصيلات التي يمكن الرجوع إليها في مظانها.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

النحوية الداخلية لوحدة التحليل (أكل، يأكل، آكل) في مقابل دورها أو وظيفتها في الجملة (مثلا فاعل أو مبتدأ أو مسند ...). ويقترن إطلاق الكلمة غالبا باللسانيات البنيوية (Structural Linguistics)، وذلك لعنايتها بالمبنى والشكل دون المعنى والوظيفة. كما تقترن بالتوليدية (Generative) في التحليل اللغوي وتفسير هذا التحليل بطرق منطقية ومصطلحات ومعادلات رياضية. وقد مثّل ماكنري وهاردي (McEnery & Hardie, 2012: 16) لهذه المدرسة بمثال رئيس هو «تشومسكي والمقاربة التوليدية للغة generative approach". فهي – كما ذكرا – لا تحتفي بالسياق، إذ المعرفة باللغة نظام مجرد يمكن تفسيره بمصطلحاتها دون حاجة إلى الذهاب أبعد مما هو ظاهر في وحدة التحليل اللغوي الظاهرة أمامنا.

ومن أصولها المنهجية ظهرت التفرقة بين الكفاية (competence) والأداء (performance)، ورُفضت معطيات المتون كما سنرى لاحقا، وصار اعتمادها على التأمل (introspection) وعلى النظر إلى اللغة بوصفها نظاما إدراكيا مستقلا عن أي عامل آخر لا صلة له ببنيتها وشكلها.

2) المدرسة الوظيفية (Functionalism: Functional Linguistics): وهي التي تعطي اهتماما مركزيا بالوظيفة لوحدة التحليل اللغوي. سواء كانت الوظيفة نحوية (مثل فاعل) أو اجتماعية كالتواصل (communication) (انظر: Crystal, 1980:191-2). وقد ظهرت بديلا عن النظرة الشكلية للغة في سبعينيات القرن العشرين (Crystal, 1980:191) بعد رفض المبدأ الشكلي (McEnery & Hardie, 2012:168). ففي هذه المدرسة تُدرس بنية الكلمة وتُشرح باعتماد الوظائف التي تضطلع بها اللغة أو بالنسبة إليها؛ فاللغة ليست نظاما مجردا معزولا وإنما هي نظام يُستخدم لإيصال المعنى محكوما بطرق أداء هذا المعنى المستخدَم وبالسياقات التي تظهر بها وببنية الإدراك الإنساني.

وهي تضم عدة مذاهب للنظر إلى اللغة، منها اللسانيات الإدراكية (Cognitive Linguistics) التي ترى المعنى – وهو جزء من الإدراك البشري– جزءا من التحليل اللغوي (انظر: Crystal, 1980:79-80). وبتأكيدها على الاستخدام فهي تتعاطى مع لسانيات المتون كما سيأتي لاحقا.

على أية حال، فالتفريق بين المدرستين وما تفرع عنهما ليس حديا، فمدرسة

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

تشومسكي البنائية اللغوية تستخدم معطيات المتون (الشواهد) في بعض الأحوال، مثل لغة الطفل، حيث لا تتاح معرفة حدس الطفل أو فطرته أو سليقته كما تتاح لدى الكبير (McEnery & Hardie, 2012: 168)، فلا يمكن استشارة الطفل حول نحوية الجمل من عدمها مثلما نفعل مع البالغ الكبير؛ ومساءلة حدس الطفل واستثارة تأمله أمر غير ممكن؛ ولذلك ليس أمامنا إلا أداؤه اللغوي الذي هو عبارة عن شاهد أو جزء من متن لغوي ترفده كفاية ما.

ففي الوقت الذي يرى تشومسكي أنه يمكن – بل يجب– أن ندرس اللغة منعزلة عن استخدامها وإدراكها (usage & cognition) (المدرسة الأولى في التفكير اللساني)، تقوم اللسانيات الإدراكية (المدرسة الأخرى في التفكير اللساني) بدراسة اللغة واضعة أولوية للتفكير الإنساني بوصفه تفسيرا للهيئة أو التمظهر والتشكل اللغوي الملاحَظ (McEnery & Hardie, 2012:169). فيمكن القول هنا إن التفكير مرآة صادقة وصدى يعكس الملفوظ المادي المحسوس.

ومن رحم المدرسة الوظيفية ظهر فيرث (J. R. Firth) اللساني البريطاني الذي تعزى إليه "النظرية السياقية للمعنى" (Contextual Theory of Meaning)، وهي أحد مبادئ نظريته ودعائمها المركزية (Crystal, 1980:181). وهي التي ترى أهمية السياق، ولا تنظر إليه على أنه معزول عن اللفظة. ويمكن أن يطلق على نظريته أيضا "النظرية السياقية للغة" (روبنز. 1997: 349).

ومن فيرث وآرائه ظهر من يطلق عليهم (الفيرثيون الجدد neo-Firthian)، وهم الباحثون الذين عملوا ضمن إطار الدرس اللغوي الذي اقترحه فيرث، و وانتهجوا مذهب لسانيات المتون على الرغم من أن ماكنري وهاردي (McEnery & Hardie, 2012:122) ذكرا أن توقنيني بونيلي (Tognini-Bonelli, 2001:157) أشارت إلى أن فيرث نفسه لن يؤيد مناهج المتون أو يتفق معها؛ إذ لا يمكن أن يُستنتج تبنيه لموقف معين (انظر أيضا: روبنز. 1997: 352).

وهناك فكرتان مركزيتان في لسانيات المتون يؤيدهما الفيرثيون الجدد هما: التصاحب (collocation)، والخطاب (McEnery & Hardie, 2012:122) (discourse). وهاتان الفكرتان المحوريتان هما التطبيق الفعلي للسياق لدى فيرث. ويُعد جون سنكلير John Sinclair أول من جلب أفكار فيرث ومبادئه إلى منهجية لسانيات

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

المتون (McEnery & Hardie, 2012:122). وسيكون لهذه الاختلافات في زوايا النظر انعكاس وأصداء تطبيقية ومنهجية في دراسة كل مدرسة من المدارس اللسانية وفي تحليلها للظواهر اللغوية، كما سنرى لاحقا.

بعد هذه الخلاصة الإبستمولوجية للمدارس اللسانية سننتقل في الفقرات التالية لنقاش الأصول النظرية لمنهجية لسانيات المتون وبعض المصطلحات ذات العلاقة.

مصطلحات منهجية:

في هذه الفقرات سنعرض لبعض المصطلحات المنهجية التي طرحتها المصادر مفرقة حين نقاشها لمسائل متفرقة تتعلق بالأصول النظرية المعرفية (الإبستمولوجية) للسانيات المتون، لأنها في نظري ضرورية لفهم بعض المسائل المعقدة في هذا الجدل. ونبدأ بما ذكره تيوبرت وسيرماكوفا (Teubert and Cermakova, 2007:37) من أن لسانيات المتون تنظر إلى اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية، فكل شخص يستخدم المفردة استخداما مختلفا عن غيره، وفي الديمقراطية لكلٍ رأيه المعتبر مثل غيره. وهذا ملمح طريف يشير إلى أن الاستخدام هو المعتبر في قولهما (ظاهرة اجتماعية)، وربط ذلك بملمح طريف آخر وهو الديمقراطية وأحقية كل فرد باللغة، فلا يوجد رأي لشخص أعلى (نخبة أو من أهل الحل والعقد) ورأي لشخص أقل (رعاع أو لا يعتد بكلامه). وبالضرورة لا توجد نخبة يحق لها ما لا يحق لغيرها ممن يُطلق عليهم رعاع أو غوغاء مثلا. فالكل متساوون في استخدام اللغة وبالتالي في حجيتها؛ بخلاف ما يراه النحويون العرب مثلا من أن اللغة العربية تؤخذ من السابق الفصيح لا اللاحق، أو من بعض القبائل الفصيحة ولا يُعتد بقبائل أخرى لعدم فصاحتها. فقد وضع الفارابي قائمة لتصنيف القبائل المحتج بكلامها وكانت هذه القائمة مقبولة لدى علماء اللغة (انظر الأفغاني، 1407: 24-23). ومن القبائل التي يستشهد بكلامها: قريش، وقيس، وتميم، وأسد. ولم يؤخذ عن لخم، ولا جذام، ولا قضاعة، ولا غيرهم، ولا عن حضري ولا عن سكان البراري ممن لهم مجاورة واحتكاك بالعجم ولا أهل المدر (السيوطي، 1427: 55)؛ بل نقل عن البصريين افتخارهم على الكوفيين بقولهم: «نحن نأخذ اللغة من حرشة الضباب، وأكلة اليرابيع، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشواريز [اللبن الثخين الرائب]، وباعة الكواميخ [نوع من الأدم]» (السيوطي، 1427: 157).

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

فليس كل ناطق بالعربية يحتج برأيه؛ فلا مكان لديمقراطية لغوية. أما السيوطي فيرى أن كلام الله تعالى وكلام رسولنا صلى الله عليه وسلم وكلام العرب قبل البعثة وبعدها إلى أن فسدت الألسن هو مسموع يجوز الاحتجاج به (السيوطي، 1427: 39)؛ وقد رد على بعض النحاة المتقدمين الذين يعيبون بعض القراءات القرآنية وينسبونها إلى اللحن (السيوطي، 1427: 40)، وهذا يدل على أنه حتى كلام الله سبحانه، في بعض قراءاته، لا يستشهد به عند بعض علماء العربية. وأما كلام الرسول صلى الله عليه وسلم فليس محل الاستدلال إلا ما روي بلفظه وليس بمعناه (السيوطي، 1427: 43).

وقد ذهب تيوبرت (Teubert, 2005:2-3) أبعد من ذلك فيما نقله عنه ماكنري وهاردي (McEnery & Hardie, 2012:132-3) من أن تركيز لسانيات المتون ينصب على المعنى؛ إذ هو عملة التواصل بين أعضاء جماعة الخطاب. وهي (لسانيات المتون) بذلك تنظر إلى اللغة من منظور اجتماعي، وفي الوقت نفسه ير تيوبرت أنها ليست متعلقة بالمظاهر النفسية للغة. فلسانيات المتون كما يراها لا تدّعي أي معرفة مميزة لإعمال العقل أو الملكة الفطرية أو الحدس اللغوي، فلسانيات المتون تستكشف الخطاب ولا تزعم أي إسهام للظواهر العقلية الداخلية للغة. بعبارة أكثر تفصيلا يمكننا القول في معنى كلام تيوبرت إن لسانيات المتون تستكشف الخطاب بظواهر استخدامه التي يشترك فيها أعضاؤه، ولا تناقش ظواهر الإدراك والتأمل، التي قد تُعزى لكل فرد مستقلا عن الآخرين، وقد يكون هذا من وجهة نظري ما يبعدها عن اللسانيات الإدراكية.

ويؤكد ماكنري وهاردي (McEnery & Hardie, 2012:220) رفض المعنى الإدراكي المستقل، وكذلك رفض استقلال اللغة عن المعطيات الأخرى، إضافة إلى تأكيد معنى الاستخدام اللغوي، حين ناقشا نقاط التقارب بين لسانيات المتون ومدرسة الفيرثيين الجدد، من جهة، واللسانيات الوظيفية واللسانيات النفسية من جهة أخرى؛ من هذه النقاط. وقد ذكرا في هذا السياق سبع نقاط (لا داعي لتفصيلها هنا، ويمكن للمهتم الرجوع إليها)، منها أن اللغة ليست نظاما إدراكيا مستقلا؛ إنما هي تمظهر أو تطبيق application لعمليات الإدراك العامة، ودراسة اللغة دراسة إمبريقية/ تجريبية، وهذا التفسير رفْض لنظرة تشومسكي الشكلية (البنائية) Chomskyan Formalist view التي تؤكد على النظام البنيوي للغة

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

(ناقش ماكنري وهاردي العلاقات بين لسانيات المتون والحقول والاتجاهات اللسانية الأخرى، مثل اللسانيات الإدراكية، واللسانيات الوظيفية وغيرها، من حيث استخدام معطيات المتون ومناهجها في كثير من تطبيقاتها، ولمن يريد الاستزادة أن يعود إليه).

ننتقل الآن لخاصية أكّد عليها المؤيدون للسانيات المتون وهي الإحاطة الشاملة أو ما يمكن أن نطلق عليه الاستقراء الكامل (total accountability)؛ إذ يرى ليتش (Leech, 1992:112، مذكور في McEnery & Hardie, 2012:14، وانظر أيضا Svartvik, 1992) أن استخدام المتون يتيح للغوي دراسة اللغة في سياق الطريقة العلمية والمنهج العلمي عن طريق مبدأ أساس هو الإحاطة الشاملة، أو ما يمكن أن يطلق عليه الاستقراء الكامل. وهذا على اعتبار أن دارس اللغة يستعرض المتن دون أحكام مسبقة يبحث عما يؤكّدها. أما لو درس الباحث المتن ولديه نظرية أو حكم مسبق أو فرضيات يسعى لتأكيدها عن طريق شواهد المتن وأمثلته، فسيكون عرضة للوقوع في إشكالية التحيز التأكيدي (confirmation bias) (انظر: McEnery & Hardie, 2012:14). وقد ذكر ماكنري وهاردي (McEnery & Hardie, 2012:14-5) أن هذا يعني أن أي نظرية لا يمكن تخطئتها أو دحضها من حيث المبدأ، فالدارس سيبحث عما يدعم وجهة نظره، وخطورة ذلك – إذا أضفنا إليه مبدأ الديمقراطية والاحتجاج بجميع المتحدثين الأصليين– أن هذا يتعارض مع سمة رئيسة للمنهجية العلمية وهي قابلية الدحض أو التخطئة (falsifiability)، وهي من السمات الرئيسة للمنهج العلمي (انظر: Popper, 2006:18). ولتجاوز هذا الأشكال لا بد أن نستخدم كامل المتن لاختبار فرضياتنا دون أن نغفل شاهدا أو مثالا أو على الأقل –كما ذكر ليتش– أن يتجنب اللغوي الاختيار المتعمد للشواهد. لكن هل هذا ما يحدث أو حدث سابقا لدى اللغويين من الناحية العملية؟

نحن نعرف أنه لا توجد قضية متفق عليها تمام الاتفاق في قضايا اللغة، بل إننا لو نظرنا مثلا إلى اللغة العربية في تقعيدها لوجدنا أنها بنيت على استقراء ناقص وليس على استقراء كامل، بدليل كثرة الشذوذ في الأحكام النحوية؛ بل حتى قاعدة رئيسية مثل رفع الفاعل ونصب المفعول جاء ما يخالفها في شاهد "خرق الثوبُ المسمارَ" التي جاء فيها الفاعل منصوبا والمفعول مرفوعا على خلاف الأصل، وقد ذكر ابن

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

عقيل في شرحه على الألفية أن رفع المفعول به ونصب الفاعل يحصل عند أمن اللبس، ولا يقاس على ذلك، إنما يقتصر على السماع (ابن عقيل، 1400). كما ذكر السيوطي (انظر السيوطي، 1413؛ والسيوطي، 1427) ورود «كسر الزجاجُ الحجرَ» وأن المسوغ لذلك فهم المعنى وارتفاع اللبس، وأن هذا الأمر مقصور على ما ورد من المسموع (انظر النقاش الموسع والتخريجات النحوية لدى السيوطي، 1413). طبعا هذا لا يعني أن تقعيد اللغة أمر يسير، أو أن وضع قاعدة تشمل جميع ما نطق به أهل اللغة أمر هيّن، فهو بلا شك عسير المنال، ولا يُتصور أن تستوعب القواعد اللغوية لغة واسعة كالعربية وأن تحيط بجميع ما نطقه أهلها. ولذلك قد ينتج المتن شواهد متعارضة، ولهذا يجب عدم استثناء الأدلة والشواهد التي لا تدعم الفرضية أو على الأقل يجب عدم إهمالها أو إغفالها.

ومن المعروف أن بعض النحويين من البصريين استبعدوا بعض المسموعات؛ فأحكامهم النحوية بنيت على استقراء ناقص (انظر مثلا: العميريني، 1423: 2/641، وحسان، 1411؛ وعيد، 1988). وقد كان لمنهج الاستقراء الناقص في النظر النحوي آثاره اللغوية، مثل الحكم بالقبح أو الإهمال (العميريني، 1423: 2/773-746)؛ بل إن النحو العربي كله قائم حتما على الاستقراء الناقص؛ بل إن تمام حسان يراه ميزة علمية (انظر: حسان، 1411: 15-14)؛ إذ توضع القواعد بناء على شواهد معدودة ثم تعمم، وهو المتاح في زمنهم (انظر: عيد، 1988: 153-151)، وهذا مقارب لما يراه تشومسكي منطقا علميا وسيأتي لاحقا. بل نقل ابن جني عن أبي عمرو بن العلاء قوله: «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير» (ابن جني، 1952: 1/386).

على أية حال ينبغي ألا نبالغ كثيرا في مطالبة التقعيد اللغوي المعتمد على متن لغوي بالإحاطة الشاملة لكل اللغة، إذ المتن نفسه لم يكن وليد استقراء تام وكامل لجميع شواهد اللغة وشواردها. فكما ذكر ماكنري وهاردي (McEnery & Hardie, 2012:15) من أن المتن نفسه عينة ممثلة وليس كل اللغة. أي أنه بالضرورة – وهذا معلوم للباحثين بل ومفهوم أيضا– يمثل جزءا ويغفل جزءا آخر. ولهذا كانت صفتا التمثيل (representativeness) والتوازن (balance) محل عناية الباحثين في لسانيات المتون واهتمامهم. ويقصد بالتمثيل "قدرة المدونة [المتن] على تمثيل اللغة

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

أو صورها المختلفة محل الدراسة" (الثبيتي، 2015: 158). وأما التوازن «فهو أن تمثل نصوص المدونة [المتن] الواقع اللغوي كما هو في خارجها فلا تكون منحازة لمحتوى أو مستوى دون آخر» (الثبيتي، 2015: 159). وبهذين المعيارين يمكن تفادي التحيز أو الانتقائية في المتون اللغوية.

ويؤكد هذا المنحى ماكنري وهاردي (McEnery & Hardie, 2012:15)؛ إذ يريان التخفف من غلواء الاستقراء الكامل، وأنه يجب أن تقتصر هذه الخاصية على متننا الذي بين أيدينا، ولا يُتصور أن يكون أي متن محيطا باللغة مهما كان. وقد عقدا مقارنة طريفة بين اللسانيات في هذه الخاصية وعلم الفلك (وهو من العلوم الطبيعية الصلبة الأخرى)، ورأيًا أن هذا النقد ليس مقتصرا على اللسانيات بل يتعداه إلى علم الفلك وغيره من العلوم الطبيعية الأخرى؛ إذ نظرياتها تعتمد أمثلة من الكون أو العالم المتاح للبشر – أصحاب النظرة الناقصة بطبيعتهم – وكل جيل يحاول دحض نتائج سابقة، أو تأكيدها أو ربما مساءلتها، ومثلها اللسانيات. ولهذا يجب الحرص على ألا يشوه المتن تمثيل اللغة، مثله في ذلك مثل الفضاء والفلك، فلو افترضنا أن علماء الفلك افترضوا أن لكل كوكب قمرا اعتمادا على ما لاحظوه من أقمار لكواكب الأرض ومارس والمشتري وعمموا فرضية أن لكل كوكب قمرا؛ لكن في الحقيقة كوكب عطارد وكوكب الزهرة ليس لهما أقمار، فهل نبطل القاعدة التي بنيناها بناء على مشاهدتنا للكواكب الثلاثة الأولى؟

يجيب عن ذلك ماكنري وهاردي (McEnery & Hardie, 2012:15-6) فيلاحظان أن هذا التساؤل يقودنا إلى قضية أخرى تتصل بالمنهجية العلمية التي يجب مراعاتها في العلوم جميعها، وهي قابلية التكرر أو التعميم على أمثلة أخرى (replicability)، وهي مهمة سواء تجريبيا أو عن طريق الملاحظة. ففي المنهج العلمي وفي كل العلوم تعد النتائج الجديدة مؤقتة حتى يمكن تعديها أو تعميمها إلى أمثلة وشواهد أخرى غير ما بنيت عليه القاعدة العلمية، وبهذه العملية المتكررة يمكن تحقق مبدأ الدحض أو التخطيئية.

فلسانيات المتون مثلها مثل العلوم الطبيعية في أن مفهوم تعدي النتائج وتعميمها (replicable results) يبدو أمرا مهما لكثير من الباحثين (انظر مثلا: Doyle, 2005) لأجل تحقق أمر منهجي معه وهو المصداقية أو الموثوقية ((credibility

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

McEnery & Hardie, 2012:16)). فلسانيات المتون لا تشذ عن القواعد العلمية الأخرى، بل تقوم على معطيات وشواهد وأمثلة معينة، ثم تُستقرأ معطيات جديدة، ويتم تأكيد القواعد أو تعديلها بناء على هذه العلمية المتكررة، ومع الوقت وتغير المعطيات يمكن للتحيز أن يُتجنب.

إذن، يمكن اختصار ما مر بنا (انظر أيضا نقاش ماكنري وهاردي McEnery & Hardie, 2012:13-6) من أننا إذا أجرينا الاستقراء الكامل على المعطيات التي بين أيدينا (أي المتن بجميع شواهده وشوارده) يمكن أن نطمئن إلى أن ما ندعيه أو نزعمه بناء على هذا المتن يحقق مبدأ الإحاطة الشاملة ومبدأ الدحض. وهذا ينطبق على اقتصارنا على متننا. أما لو قمنا باستقراء كامل لمعطيات أخرى غير تلك التي في متننا من خلال عملية التحقق وإعادة التحقق، فذلك سيجعلنا نطمئن إلى أن ادعاءنا وزعمنا قاما بعد أن تحقق معيار التعدي والتعميم.

وإذا تحقق لعلم من العلوم مبدأ الدحض والتعدي أو التعميم، يمكن لهذا الادعاء أن يقال عنه إنه حقق المصداقية والموثوقية (validity)، وباطمئناننا إلى صدق لسانيات المتون عبر تحقق هذه المعايير والمبادئ الضرورية لأي منهج علمي، يمكن لنا أن نصفها بأنها مشروع علمي تجريبي (إمبريقي) يتوافر على الشروط العلمية المنهجية اللازمة لكي يكون محل ثقة الباحثين والعلماء (McEnery & Hardie, 2012:16).

وفي سياق التشجيع على بناء الفرضيات على أساس التخلص من التحيز والبحث عن مثال يرفد ادعاء اللغوي، يذكّرنا ماكنري وهاردي (McEnery & Hardie, 2012:16) بأن انتقاء المعطيات ليس بالضرورة سيئا في كل الأحوال؛ بل قد يكون استعراض المتن بحثا عن شاهد أو مثال، أو مجموعة منهما، أمرا مطلوبا لكونه المسلك الصحيح والطريقة المنهجية العلمية الناجعة، مع التسليم بأن هذا المنحى هو فعلا ما يحدث لدى بعض المحللين واللغويين في ظروف خاصة. لكن كيف يمكن لنا أن نقول إنه هو المنهج العلمي الصحيح في بعض الحالات؟

يجيب عن ذلك ماكنري وهاردي (McEnery & Hardie, 2012:16) بأننا قد نبحث عن مثال معين يدحض فرضياتنا عندما يكون وجود مثال واحد كافيا لدحض الادعاء. ففي متن يضم ملايين الجمل، قد يكون المثال الواحد أو مجموعة

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

فرعية من الأمثلة والشواهد، هو الأهم من ناحية الفرضية التي نريد دحضها. ولهذا، فاستخدام المتن للبحث عن مثال في هذه الحالة ليس متوافقا مع المنهج العلمي فحسب، بل هو متوافق أيضا مع مبدأ الاستقراء التام ليتحقق تهذيب القاعدة أو تعديلها، وهو ما يسمى البحث المدعوم أو المستأنس بالبيانات (corpus-in-formed) (انظر: McEnery & Hardie, 2012:16-8؛ وسيأتي الحديث عن هذا البحث لاحقا). مثال ذلك أن نبحث في متن للغة العربية عن أمثلة لمجيء الفاعل مصدرا مؤولا بعد أن رأينا كثرة مجيئه اسما صريحا، فعثورنا على أمثلة على المصدر المؤول فاعلا يجعلنا نقول إن الفاعل اسم صريح أو مصدر مؤول.

علاوة على ذلك تميل بعض العلوم اللغوية التي تنحو منحى التحليل الكيفي العميق والثري للمعطيات إلى تفضيل استخدام المتن (الصغير المشتمل على أمثلة قليلة) وتحليلها بعمق كيفي (نوعي) ثري أكثر من تعاملها مع المتن الكبير مثل تحليل الخطاب الناقد؛ وذلك لحاجة هذه العلوم إلى تحليل السياق الاجتماعي للمثال أو الشاهد، وتحليل ما هو أبعد منه، وعدم الاقتصار على التحليل اللغوي للمثال في المتن (لنقاش موسع حول نزعة بعض العلوم والمجالات لخرق معيار التحيز والتعميم في الأساس، انظر McEnery & Hardie, 2012:16).

كما ذكر ليتش (Leech, 1992، مذكور في ماكنري و ويلسون McEnery & Wilson, 2005:15) أن المتن أقوى منهجيا من وجهة نظر علمية من التأمل الذي يقوم به اللغوي التقليدي، لأنه يمكن تطبيق (التحقق الموضوعي objective verification) على النتائج لاعتماده على الآلة واستقلاله عن ذاتية الباحث والمحلل اللغوي؛ في المقابل نجد أن هذه الصفة المنهجية غير ممكنة التحقق في التأمل أو حتى في الحدس. ويضيف فيلمور (Fillmore, 1992) أن التأمل لا يُعتمد عليه دائما؛ في مقابل ما يمنحه المتن من تفوق بالأصالة (authenticity) والموثوقية.

خلاصة القول أن مؤيدي لسانيات المتون يرون أنها تتصف بصفات منهجية تقويها وتجعلها تختط لنفسها طريق المنهج العلمي الصحيح؛ في مقابل ذلك هناك فريق آخر يرى أن لسانيات المتون لا تخلو من إشكالات منهجية تقدح في استخدامها بوصفها علما موثوقا. وهذا محل نقاشنا في الفقرات التالية.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

إشكالات مثارة ضد لسانيات المتون:

لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن لسانيات المتون نشأت وبدأت بدايات خجولة – إن صح لنا الوصف– ما بين محاولة لإثبات نفسها ميدانا من الميادين العلمية التي تستخدم المنهج العلمي السائد في وقته، وبين صمودها في وجه الاعتراضات العنيفة التي صدرت من شخصية لها حجيتها وتعدّ مرجعية علمية مثل تشومسكي الذي خصها بنقده اللاذع وانتقص من منهجها الذي تستخدمه ومن بياناتها ومعطياتها ومادتها التي تدرسها. وقد أكد ماكنري و ويلسون (McEnery & Wilson, 2005:1) أن لسانيات المتون كانت هامشية تُستخدم في لسانيات اللغة الإنجليزية وفي دراسات النحو الإنجليزي إلى أن نهضت مؤخرا لتدخل مجالات جديدة ولغات غير اللغة الإنجليزية. بالإضافة إلى ذلك، ذكر ماكنري وهاردي (McEnery & Hardie, 2012:225) أن المرحلة الأولى للسانيات المتون إلى ثمانينات القرن الماضي وبزوغها وكفاحها في وجه انتقادات ومعارضات وجهة النظر التشومسكية، بل ذكر فيلمور (Fillmore, 1992:35) أن لساني المتون لا يحظى بسمعة مشرقة في الدوائر العلمية اللسانية. وربما كان هذا في وقت سابق.

ولاستعراض نشأة هذا العلم ثم ترنحه – إن صح التعبير – ثم تثبيته قدمَه وترسيخها في الميدان يمكن الرجوع إلى المناقشة المستفيضة لدى العصيمي (2013) الذي أرّخ لها بشيء من التوسع والتفصيل.

أما ما يهمنا الآن فهو الاعتراضات التي أثيرت في وجه الباحثين في لسانيات المتون، وكذلك الإجابات عن هذه الاعتراضات إضافة إلى التحولات المنهجية التي اضطر إليها الباحثون استجابة للاعتراضات الوجيهة المثارة.

ولكي نلمّ بالاعتراضات الشائكة المتناثرة في الأدبيات، سنخصص الجزء الأكبر لانتقادات تشومسكي، أو ما يمكن وصفهم بالتشومسكيين، على حد تعبير كثير من اللغويين (انظر مثلا: McEnery & Hardie, 2012؛ وكذلك: Landau, 1984:276). وقد تحدث جيفري ليتش وهو واحد من رواد لسانيات المتون (Landau, Sidney. I. 1984:276) عن تأثير تشومسكي فيمن بعده من اللسانيين النظريين في عدم مناسبة المتون في مقابل مناسبة الحدس(Leech, G.) (intuition

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

1991). ولا بد من أن نشير إلى أن تشومسكي بوصفه عالما إدراكيا وعالما توليديا من الطبيعي أن يقف ضد ما يعتمد الأداء المرصود والاستخدام بوجه حاد. وقد كان موقفه كما يصفه ماكنري وزملاؤه (McEnery et al. , 2006:131) عدائيا ضد المتون واستخدامها في التحليل اللغوي. كما يختلف الدارسون الذين يقبلون لسانيات المتون في آرائهم حول استخدام المتون على حسب الأهداف البحثية (ماكنري وزملاؤه McEnery et al. , 2006:131).

وقبل الخوض في الإشكالات المثارة، لا بد من الإشارة إلى أن الاتجاه المنهجي السائد في اللسانيات كان يعتمد استخدام اللغة الملاحَظة أو المدونة، وهذا في الواقع متن لغوي، وإن لم يُسمَّ كذلك (McEnery & Wilson, 2005:2). وأتفق مع ماكنري وويلسون (McEnery & Wilson, 2005:2) في أن اللسانيين الميدانيين field linguists، مثل بواز Boas 1940 ومن جاء بعده من البنيويين أصحاب التقاليد البنيوية في الدرس اللغوي، يعتمدون منهجية يمكن أن ينظر إليها على أنها قائمة على المتن (corpus-based)، وإن لو لم يسموا أنفسهم لسانيي متون؛ بل إن اللغويين الذين جمعوا اللغات الأمريكية الهندية وألّفوا لها المعاجم كانوا متأثرين ببلومفيلد وأفكاره وكانوا يعتمدون "الظواهر الملاحَظة في المكان والزمان" (روبنز، 1997: 334). ثم إن دراسات اكتساب اللغة والتطور اللغوي لدى الأطفال بتسجيل (تدوين) يومياتهم اللغوية التي يقوم بها والدوهم في القرن التاسع عشر وبداية العشرين هي من قبيل دراسات المتون (McEnery & Wilson, 2005:2). وتعتمد ملاحظة النمو اللغوي لدى الطفل اعتمادا كليا على ملفوظاته التي هي عبارة عن متن. وتعد أعمال بلوم (Bloom, 1970) وبراون (Brown, 1973) من الأمثلة على جمع ملفوظات (متن) الأطفال لتحليل التطور (النمو) اللغوي لديهم (McEnery & Wilson, 2005:2).

ويرى هاريس (Harris, 1993) أن الاتجاه السائد لدى اللسانيين التقليديين يقوم على جمع ملفوظات مسجلة (متن) يجري تحليلها فيما بعد. ولابد من الإشارة إلى أنه لم يستخدم لفظ متن (corpus) إلا مؤخرا (انظر: العصيمي، 2013). بل لعلنا نذهب أبعد من ذلك فنقرر أن العرب في جمعهم للغة من أطراف البادية ومن

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الفصحاء يعتمدون منهجية تشبه منهجية لسانيات المتون، وما يتم جمعه إنما هو متن لغوي سواء أطلق عليه هذا المسمى أم لا، أي أن هذا المنحى سبق من تسميهم اللسانيات الحديثة الغربية باللسانيين التقليديين، وجمعُ اللغة العربية من البوادي، وكذلك تدوين الحديث الشريف يمكن أن يعدّ جمعا للمتون اللغوية والدينية؛ وهذا يعني أن منهجية المتون لا تقتصر على اللغويين المحدثين. ويمكن القول إن جمع الشواهد والأمثلة لتقعيد اللغة معياريا وإن كان قد انتهى في العربية لكنه في المجالات الأخرى مثل تحليل الخطاب (السياسي، الديني، ...) وفي اللغة المنطوقة ووصفها، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي واكتساب اللغة واللهجة، لا يمكن أن يستغني عن الشواهد والأمثلة المتمثلة ولو جزئيا بمنهجية لسانيات المتون.

كما يرى ماكنري وويلسون (McEnery & Wilson, 2005:4) أن البحوث والدراسات في مجال تقاليد التهجئة (وهو يشبه ما نسميه لغة الحاضرة أو البادية أو لغة تميم ولغة طيء، مثلا)، وفي بيداغوجيا اللغة، واللسانيات المقارنة، والقواعد (Syntax) وعلم الدلالة (Semantics)، كلها من الدراسات التي تعتمد متونا يجمعها اللغويون (وضرب لذلك أمثلة تراجع ص3 و 4). إذن، يمكن القول إن جمع المتون والشواهد والأمثلة ليست ابتكارا حديثا أو خاصا بلسانيي المتون المحدثين. فليس لهم بالتالي لا فضل الابتكار ولا عليهم تبعات الإشكالات المنهجية.

بعد هذه التوطئة للمجالات التي استخدمت المتون قبل تشومسكي وقبل هجومه العنيف ننتقل إلى ما يراه تشومسكي مخلا بمنهجية الباحث اللغوي العلمية. وسبب التركيز على تشومسكي أنه يمثل مرجعية تحظى بالتقدير في الأوساط العلمية عامة واللسانية خاصة، كما أن انتقاداته المقبولة كان لها دور في تهذيب لسانيات المتون، مثلما سنرى.

فالمرتكز الذي ينطلق منه تشومسكي هو أن اللغوي يجب أن ينصب جهده على نمذجة أو محاكاة (modeling) الكفاية اللغوية لدى الناطق الأصلي، وليس الأداء أو المنتَج؛ ولذلك فالمتن لا يعد في رأيه أداة مفيدة للتحليل اللغوي لأنه أداء (لغة خارجية: E Language) وليس كفاية ولا هو بنظام اللغة الداخلي (I Language)؛ بل إن الأداء مرآة مضللة للكفاية، لأنه يتأثر بعوامل خارجية متعددة كالذاكرة أو الشرب (أي كون المتحدث مخمورا) (McEnery & Wilson, 2005:6). وهناك

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

مؤثرات أخرى تتعلق بعيوب المتحدثين النطقية، كما لو استمعنا إلى شخصين مصابين بالحبسة أو بعيب آخر كالتأتأة، فإننا سنصور الكفاية لديهما بشكل خاطئ اعتمادا على معطيات المتن المشوه الذي أنتجاه وهو في الحقيقة أداء (McEnery & Wilson, 2005:7)؛ بل يرى ماكنري وويلسون (McEnery & Wilson, 2005:6) أنه حتى لو حاولنا استبعاد إمكانية أن المتن مضلل وقمنا بجمع متن ممتاز يخلو من الأغلاط، فإن تشومسكي لن يكون راضيا. فالكفاية تعتمد قواعد محدودة تولد جملا غير محدودة، فلا يمكن الاستدلال باللانهائي وغير المحدود على النهائي المحدود، والمتن بطبيعته ناقص وجزئي ويمثل جزءا من اللغة لا اللغة كلها (انظر النقاش المستفيض حول هذه الجزئية لدى: ماكنري وويلسون McEnery & Wilson, 2005:6-12).

وقد نص تشومسكي (Chomsky, 1962:159) على "أن المتن بطبيعته محرّف (Skewed) وأن أي توصيف يُبنى عليه لن يعطينا أكثر من مجرد قوائم"، فالمتن بطبيعته جزئي وناقص في نظره، ويشوه اللغة. ولذلك فإن المتن اللغوي – حسب تشومسكي– ينمذج أو يحاكي المصدر الخطأ (وهو الأداء، بدلا عن الكفاية التي هي مناط التحليل اللغوي). فوظيفة اللساني، كما يرى تشومسكي، ليست إحصاء الظاهرة الأدائية المتمثلة في المتن أو توصيفها؛ إنما تكمن وظيفته الصحيحة في تأمل الكفاية اللغوية كما تتجلى في عقل المتحدث الأصلي وتفسيرها (McEnery & Wilson, 2005:12). وفي حين تهدف اللغة الخارجية «إلى جمع البيانات ثم توصيف خصائص هذه البيانات... مستقلة عن خصائص عقل المتكلم» (Cook and Newson, 2007:13)، يهتم النظام الداخلي للغة (I-language) بما يعرفه المتكلم وبمصدر هذه المعرفة؛ أي أنه يتعامل مع اللغة بوصفها سمة داخلية في عقل المتكلم وليست شيئا خارجا عنه (Cook and Newson, 2007:13). ولهذا– حسب تشومسكي– فحتى لو قبلنا بالإحصاء والتوصيف هدفيْن للغوي (اللساني) فإن ذلك غير متاح، كما يظهر، لأن اللغة لانهائية، وبالتالي فمحاولة الإحصاء والتوصيف لن تنتج توصيفا مناسبا للغة على الإطلاق؛ إذ كيف يكون متن ناقص هو المصدر الوحيد للغة اللانهائية (McEnery & Wilson, 2005:12). وقد نص لاندو على أن تشومسكي وأتباعه وغيره من اللسانيين في الولايات المتحدة، بتأثير

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

من تشومسكي نفسه، يتبنّون موقفا عدائيا من التحليل الكمي برمته، بل يستهجنونه لعدم قدرته على أن يشمل جميع الاستخدامات الكامنة للغة البشرية (Landau, 1984:275-6)؛ إذ لدينا استخدام (أداء) وهو نهائي، وكفاية إبداعية، وهي القدرة على توليد عدد لا محدود من الجمل، واستخدام كامن لا نهائي لم يظهر فيما جُمع (Landau, 1984:275) مهما بلغ هذا المجموع.

ولا بد من توضيح أن مفهوميْ الأداء والكفاية يتوافقان جزئيا مع مفهوم اللغة الداخلية والنظام الداخلي للغة (Cook and Newson, 2007:15، وانظر: Andor, 2004:93). فمصطلح اللغة الداخلي، حسب عبارة تشومسكي، "يشير إلى المكون الخاص الواقع في النظام البيولوجي (العضوي) الإدراكي للعقل البشري" (Andor, 2004:93)، فهو شيء محسوس (Andor, 2004:94). وهو يرى أن دراسة الأداء أو الخطاب أو التفاعل الاجتماعي دراسة لتَمظْهُر القدرة وليس دراسة للقدرة ذاتها (Andor, 2004:94-5). كما يرى أن اللغة الخارجية لا تفيد في دراسة الطبيعة الداخلية للقدرة اللغوية لدى البشر (Andor, 2004:101)، خلافا لما لو كانت الدراسة موجهة للملكة الإدراكية الداخلية (Andor, 2004:103). فهو يركز على قضايا أساسية في دراسة اللغة، منها العضو الإدراكي لدى البشر، والملكة نفسها، وليس تمظهرها وتشكلها عبر الأداء، وكذلك وجود إطار مفاهيمي نظري للبحث يُبنى على التأمل. وتمييز تشومسكي بين مقدرة المتكلم والمنطوقات هي من أفكار دي سوسير الذي يرى أن الكلام هو "المادة التي يمكن الحصول عليها مباشرة"، بينما "الهدف الصحيح للغوي هو (لانج) [لغة] كل جماعة لغوية، أي المعجم والقواعد والفُنُلُجيا المغروسة في كل فرد بسبب نشأته في المجتمع المعين وتنشئته على الأسس التي وفقا لها يتكلم لغة هذا المجتمع ويفهمها" (روبنز. 1997: 320 المعقوفان في الأصل).

كما كان تشومسكي مهتما باللغة بوصفها ظاهرة كلّية عالمية (Universal)، أي أنه يركز على القواعد الموجودة في ذهن المتكلم (الكائن البشري) وعقله، والتي تحكم اللغة الإنسانية بغض النظر عن اختلاف تطبيقات هذه اللغة من إنجليزية إلى عربية وغيرها. فاللغات بالآلاف ومختلفة بين البشر وليست مادةَ الدراسة الصحيحة لعملية اكتساب الفرد للغة، والتي هي واحدة لدى كل البشر؛ بل إن الدرس

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

اللغوي برمّته بدأ يأخذ هذا المنحى وزاد عدم رضا اللغويين عن وصف اللغات منفردة (Teubert, and Cermakova, 2007:50-1). فعملية الاكتساب (نؤكد على كلمة عملية) هي نفسها واحدة لا تتغير إلا في تمظهرها وتشكُّلها في اللغات وبين المتكلمين الذين يختلفون بالمليارات. فنظرية القواعد الكلية تهتم "بالبناء الداخلي في عقل المتكلم، أي كيف يربط النظامُ الرياضيُ (الحاسوبيُ) الصوتَ بالمعنى" (Cook and Newson, 2007:11، في هذا الكتاب نقاش تفصيلي معمق لنظرية تشومسكي حول القواعد الكلية). واكتساب اللغة لدى تشومسكي ليس مستقلا عن عضو الاكتساب المغروس في عقل المتكلم (Cook and Newson, 2007:184)؛ بل نص تشومسكي على أننا "لا نتعلم اللغة؛ إنما تنمو القواعد في أذهاننا (عقولنا)" (Chomsky, 1980:134). ولإعلاء مكانة التأمل introspection عند اللغويين، يرى سابير، وهو أحد أعلام اللسانيات الأمريكية، أن هناك تماثلا بين تجريد اللغوي وحدس ابن اللغة (روبنز. 1997: 333).

وفي مقالة له بعنوان (في الدفاع عن اللغة الشعبية:In Defense of Public Language)، يرى ميليكان (Milikan, 2003:1) أن تشومسكي ينتقد اللغة الشعبية (public language)، أو ما يسمى (اللغة الخارجية: externalized language)، لأنها ليست مادة مؤهلة لأن تكون محل اهتمام اللغوي المنشغل بالمنهج العلمي؛ فهي ليست إلا مادة مصطنعة artifactual؛ بل إنه ندّد أيضا بمقولة أن الهدف من اللغة هو التواصل. إذن يمكن القول إن تشومسكي لا يقلل من قيمة الأداء مادة علمية فحسب، بل أيضا لا يرى أن الهدف الأساس من اللغة هو التواصل، كما هو واضح من كلام ميليكان (وانظر أيضا: Andor, 2004:107-9). ويرى ميليكان (Milikan, 2003:2) أن هذا الموقف المتطرف مردّه إلى الفلسفة التي تقوم عليها نظرية تشومسكي في نقده لبعض مواقف التواصل، مثل موقف من ينكر شيئا يعلم أن المستمعين أو القراء لا يوافقونه عليه (هناك نقاش أعمق في Milikan, 2003: فيمكن مراجعته للقارئ المهتم). ويرى تشومسكي أن هناك مظاهر كثيرة من الفشل في التواصل، كما أن معظم استخدام اللغة هو حوار داخلي بين المرء ونفسه، وللتفكير (انظر: Andor, 2004:108-9)، فلو قارنّا الحوار الداخلي لدى

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

أي إنسان بمنطوقه ومكتوبه، لوجدنا أن حواره الداخلي أضعاف ما ينتجه؛ وبالتالي فإن المتون اللغوية أقل من اللغة الفعلية التأملية كما تتجلى عبر الحوار الداخلي، ولا تمثل اللغة. وهذه بلا شك ملحوظة ذكية من تشومسكي.

وفي مقابلته (Andor, 2004:97)، يقرر تشومسكي أن "لسانيات المتون لا تعني شيئا"، ويبرر حكمه العنيف هذا بأن المنهج المتعارف عليه في العلم ليس جمع كمية هائلة من البيانات لاستنتاج تعميمات وأحكام من هذه البيانات؛ إنما العلم بناء مفاهيم وإجراء بعض التجربة داخل أطر نظرية. وواضح أنه ينتقد المقاربة المؤسسة على المتون (corpus-based approach). وقد شبّه دراسة اللغة بدراسة الفيزياء والكيمياء لدى العلماء الذين يضعون النظرية ثم يستدلون لها من العالم، ولا يسجلون وقائع العالم ليبنوا عليها نظريات (Andor, 2004:97-8). فهو يرى قيمة كبرى للتجربة، ولا يرى بأسا من أن تأخذ من لسانيات المتون بعض الأفكار والتلميحات، ثم تصمم تجربة وتسأل أهل اللغة، ويكون هناك إطار نظري تبحث من خلاله، كما فعل غاليليو (Galileo) في منهجه العلمي (Andor, 2004:99)، وهو هنا يعمم على لسانيات المتون وتحليل الخطاب و التداولية أيضا.

ويحاول ماكنري وويلسون (McEnery & Wilson, 2005:7) البحث عن مبرر لهجوم تشومسكي، فيذكران أنه قد يكون نابعا من الاعتقاد الخاطئ لدى لسانيي المتون أن الجمل نهائية، وهو ما يراه غير صحيح؛ وهم يرون ذلك لأنها المصدر الوحيد المتاح للغوي، وهذا طبعا افتراض خاطئ. فالأصل في الجمل لدى تشومسكي هو الإبداع وليس التكرار. لكن يستدرك ماكنري وويلسون (McEnery & Wilson, 2005:7) أنه ليس كل لسانيي المتون يرون أن الجمل الموجودة في المتن تعكس نهائية الجمل لدى المتحدث؛ فهناك مثلا هاريس (Harris, 1951) و هوكيت (Hockett, 1948) اللذان يريان أن اللغوي يجب أن يراعي المعطى غير الموجود في المتن سواء في القواعد أو في غيرها. فما هو غير موجود في المتن يجب أن يكون محل اهتمام اللغوي، أي لا يقتصر اهتمامه على المادة التي في المتن. كما يقرر ماكنري وويلسون (McEnery & Wilson, 2005:8)، من باب أن السياقات التي في المتن ليست نسخا مكررة، أنك لو أخذت أي جملة من هذا البحث فلن تجد أي

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

جملة تشبهها في متن أي بحث آخر، وذلك لتنوع الاختيارات المعجمية والنحوية.

وقد كان للغويين آخريْن هما فيلمور (Fillmore, 1992:35) وبول بوستال (Paul Postal، وهو نحوي توليدي سبق تشومسكي، كما ذكر ذلك ماكنري وولسون، 2005 نقلا عن هاريس، 1993) موقفان متشددان لا يخلوان من السخرية والتهكم على لسانيي المتون الذين يجمعون المعطيات ويصنفونها، ثم يصفون طريقتهم بالعلمية والصلابة والصرامة والانضباط! فهما يريان أن لسانيّي المتون يعتنون بالجمع والإحصاء والتصنيف لركام هائل من البيانات، ثم يسمون هذا علما صلبا! (للاطلاع على رأييْهما ومناقشتهما فيه انظر: ماكنري وويلسون McEnery & Wilson, 2005:10-1).

وقد نقل ماكنري وويلسون (McEnery & Wilson, 2005:11) حوارا لطيفا بين تشومسكي و هاتشر (Hatcher) حول صلاحية المتن للدراسة اللغوية، تحدث فيه تشومسكي ضاربا مثلا بالفعل perform (يؤدي) وما يتبعه من أسماء، فجاء حكم تشومسكي مدللا على أنه يعرف الحكم لأنه متحدث أصلي ذو سليقة سليمة؛ لكن جاء حكمه هذا خاطئا بدليل ورود ما يراه غير صحيح في المتن الوطني البريطاني (BNC: British National Corpus). فهذا يعطينا دلالة على أن التأمل والسليقة، حتى وإن كانا من عالم لغوي حجة مثل تشومسكي، فضلا عن ابن اللغة أو المتحدث الأصلي، لا يستغنيان عن المتن اللغوي في إطلاق الأحكام، فاللغة – أي لغة– لا يحيط بها مخلوق.

وهناك اعتراض طرحه اللغوي أبيركرومبي (Abercrombie, 1965، مذكور في McEnery & Wilson, 2005:12-3) يبدو أكثر عملية من الناحية التطبيقية في فترة ما قبل خمسينيات القرن الماضي. ففي نقاشه لمنهجية المتون، ذكر (الإجراءات الزائفة: pseudo-procedure) أي التي تبدو علمية لكنها ليست كذلك، وهذا الانتقاد ينطبق بشكل رئيس على مقاربة التحليل القائمة على المتن (سنفصل القول لاحقا في معناها)، وهو أن البحث في المتون بطيء ومكلف ويحتاج إلى وقت وجهد، واحتمال الخطأ فيه كبير. وواضح أن هذا الاعتراض موجه إلى مقاربة التحليل القائمة على المتن في خمسينيات القرن الماضي أي قبل تطور الحاسوب؛ إذ كان التحليل المتاح

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

للغويين في ذلك الوقت بطيئا ويستغرق الكثير من الجهد والوقت. لكن مع الثورة التقنية وتطور تقنيات الحاسب الهائلة المتاحة للغويين، يبدو أن هذا الاعتراض لم يعد وجيها. بالإضافة إلى أن النقد يتجه بشكل مباشر للذي يستنطق المتن ليستخرج منه الأحكام ويبنيها منه ويؤسسها عليه، وهو ما يمكن أن نسميه منهجيا بالنظرية المجذرة (Grounded theory)، وهي التي ترتكز على استخلاص الفرضيات وتوليدها من الملاحَظ والبيانات والمعطيات أكثر مما هي من التجريد والتأمل (انظر مثلا: Robson, 1993:90,548).

بعد هذا العرض التفصيلي للإشكالات المثارة ضد لسانيات المتون ستخصص الفقرات التالية لإجابات المهتمين بلسانيات المتون على الإشكالات المنطقية المثارة، وللتحولات التي كانت بعض التساؤلات سببا مباشرا في حدوثها.

إجابات المؤيدين للسانيات المتون:

كما ذكر ماكنري وويلسون (McEnery & Wilson 2005:5) هناك تفريق في كل التخصصات العلمية بين المنهج العقلي التأملي والمنهج التجريبي، فالسؤال المطروح باستمرار: هل نبني نظرية لغوية على التأمل أم على المعطيات الملاحظَة (المتن- التجربة)؟ طبعا لكلٍ من المنهجين ميزات وسلبيات، وليس هذا مكان نقاشها. وينطبق هذا السؤال أيضا على تقعيد اللغة العربية؛ إذ الاختلاف بين مدرستي الكوفة والبصرة في النحو العربي مشهور ومعروف بنزعة البصريين إلى السماع واعتداد الكوفيين بالقياس؛ بل في من يصح الاعتداد بالسماع منه (انظر: العميريني، 1423: 733؛ وأيضا: القاسمي، 2014: 16، الذي يرى قرب تشومسكي من مذهب البصريين لبنائه على أمثلة مسموعة وعدم اعتداده بالقياس، خلافا للكوفيين). وهذا في رأيي مما يثري الدراسات اللغوية ويجعل حراكها مستمرا وغير محنط عند نقطة زمنية معينة. فالخلاف إذن في أي المذهبين يُتبنى، وكلا هذين المذهبين يعد منهجا علميا مقبولا، ولا يصح منهجيا – في رأيي- أن يكون هناك تثريب من أي منهج منهما على الآخر.

وقد قرر ماكنري وويلسون (McEnery & Wilson 2005:5) أن الجدل بين مؤيدي لسانيات المتون ومعارضيها، سواء من تشومسكي أو من خصومه، هو امتداد

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

تاريخي للجدل القديم المتجدد ما بين التوجهين العلميين (التجريبي: empiricists والتوجه العقلي التأملي rationalists)، فالتوجه التجريبي في اللسانيات ينزع إلى التأسيس على تحليل البيانات والمعطيات الخارجية مثل النصوص والشواهد والمتون (النحو الكوفي مثلا)؛ في حين ينزع التوجه العقلي في اللسانيات إلى الاعتماد على التأمل أكثر من اعتماده على المعطيات الخارجية (النحو البصري مثلا) (انظر: McEnery & Wilson 2005:198).

بناء على ما تقدم يمكننا الاطمئنان إلى أن الانتقاد اللاذع الموجه ضد لسانيات المتون ليس لضعف في منهجيتها بقدر ما هو نزعة أو توجه تؤطر الدرس اللغوي لدى المنتقد. ولا تختص لسانيات المتون بهذا النقد بل يمتد إلى غيرها من الميادين الأخرى مثل تحليل الخطاب والتداولية. فمنهج لسانيات المتون هو أحد المناهج المعتبرة في العلوم الإنسانية.

إضافة إلى ذلك، وكما ذكر ماكنري وويلسون (McEnery & Wilson 2005:16) فإن بعض انتقادات تشومسكي كانت وجيهة ومقبولة منهجيا، وكان لها دور في تعديل اتجاه لسانيات المتون وتقويم مسارها ليكون أكثر علمية ومقبولية من الناحية المنهجية؛ في مقابل ذلك يمكن اعتبار بعض الانتقادات غير الوجيهة أو التي لم تبالِ بنقاط القوة في لسانيات المتون ليست ذا بال. فقد يكون تشومسكي بطبعه حادا على مخالفيه. وهذا في رأيي واضح عنده في استخدام ألفاظ قطعية مثل (لا تقول شيئا).

يمكن تقسيم الانتقادات في رأيي ثلاثة أقسام: انتقادات لا يمكن حلها أو يستحيل عمل شيء إزاءها، وانتقادات تغفل نقاط القوة، وانتقادات وجيهة أسهمت في تعديل مسار لسانيات المتون وتهذيبه.

كما أن وصف تشومسكي اللاذع قد طال سكينر (Skinner) والبنائية (Structuralism)؛ إذ وصف منهج سكينر منذ عام 1957 بأنه لا يشرح شيئا فحسب، بل لا يشرح أي شيء ذا قيمة، مما دفع اللسانيين إلى هجر البنائية والعمل في إطار النزعة العقلية (mentalism) ودمج اللسانيات في العلوم الإدراكية (cognitive science) (Stockwell, 2007: 31)، وللاستزادة حول العلوم الإدراكية انظر: Stockwell, 2007: 40-1).

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

فمن الاعتراضات التي لا يمكن رفضها وفي الوقت نفسه لا يمكن عمل شيء تجاهها مسألة لا نهائية اللغة (McEnery & Wilson 2005:19) والإبداعية الكامنة في الملكة العقلية، فلا يمكن للمتون إلا أن تقبل بهذا النقد واقعا لا يمكن تجاهله ولا يمكن التغلب عليه في الوقت نفسه. ومثل ذلك قضية العوامل الخارجية التي تؤثر في الأداء اللغوي وتشوه الكفاية اللغوية (McEnery & Wilson 2005:19)، فلا يمكن إلا القبول بذلك والاعتراف به. وعلى أية حال، فلسانيات المتون لا تدّعي أنها تعالج اللغة كاملة؛ إنما تتعامل مع معطيات تعترف بأنها تمثّل جزءا من اللغة، وبهذا تكون قد أقرت بحدودها وقدرتها. وعلى الباحث أن يتعامل معها على هذا الأساس.

بالإضافة إلى ذلك فقد اعترض ماكنري وولسون (McEnery & Wilson 2005:15) على ما أثاره تشومسكي من أن المتن (المعطيات الطبيعية natural data) يعد مرآة مضللة للكفاية لأن الأداء (أو الإنتاج اللغوي) يتأثر بعوامل أخرى غير الكفاية، مما يشوه الكفاية أو يعكس صورة مغلوطة عنها. فتشومسكي (8:1965) انتقد المعطيات الطبيعية نقدا لاذعا ووصفها بأنها ذات جودة منحطة degenerate quality. كما نقل لابوف (Labov, 1969:201) عن تشومسكي زعمه في عدة محاضرات له أن 95٪ من ملفوظات اللغة الطبيعية ليست نحوية ungrammatical. على كلٍ فقد ذكرت الدراسات أن هذا الادعاء غير دقيق، وقد جادل لابوف (Labov, 1969:201) من خلال عمله مع المتون المنطوقة أن معظم الملفوظات في كل السياقات جمل تامة (كاملة)؛ بل حتى لو قلنا إنها غير نحوية فالمتن لابد أن يحتوي على ما هو نحوي، أو على الأقل نفترض أن انعدام النحوية ليس بدرجة حدة الافتراض السابق (راجع هذه النقطة ومناقشة لابوف لاعتراضات تشومسكي في McEnery & Wilson 2005:15-6).

علاوة على ذلك، فقد تجاهل تشومسكي ومن يقلل من قيمة لسانيات المتون نقاط القوة التي تتحلى بها المتون ولا تتوافر في غيرها من الميادين الأخرى. مثال ذلك كون المتن مقروءا عن طريق الآلة، مما يمكّن من الدقة في التحليل والبحث والحساب والتصنيف (McEnery & Wilson 2005:17)، بل الموضوعية والبعد عن الذاتية التي تؤثر في محلل اللغة. كما أن أسئلة البحث الموجَّهة معجميا lexically driven

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

تجيب عنها لسانيات المتون بجدارة (McEnery & Wilson 2005:17)، فلا يمكن أن نتصور معجما لأي لغة دون أن يتأسس كليا على الأمثلة والشواهد (المتون).

في الوقت ذاته هناك انتقادات يمكن التعامل معها والإفادة منها في تهذيب منهجية المتون وتقويتها علميا؛ بل هذا ما حدث فعلا حين أفاد الباحثون في المتون من انتقادات تشومسكي وغيره. وبناء عليه فهناك بعض المفاهيم والإجراءات التي أخذت بها لسانيات المتون، مثل التوازن ودرجة التمثيل، فكانت بذلك إجابة مباشرة على انتقادات تشومسكي (McEnery & Wilson 2005:5). لقد كانت انتقاداته مساهِمة ربما من غير قصد منه في تطور لسانيات المتون ونمو قواعدها ومناهجها نظرا إلى تأثيرها القوي في الحقل اللغوي، ولما يتمتع به تشومسكي من سلطة علمية ومرجعية قوية. فلسانيو المتون كانوا يسمعون لمنتقديهم ويعالجون القصور في منهجهم بناء على ما لديهم من معطيات متاحة.

في المقابل، جادل ماكنري وولسون (McEnery & Wilson 2005:13) في أن تشومسكي نفسه (1964) حذّر من أن رفض المعطيات الأدائية مصدرا للدليل غير مناسب لدراسات اكتساب اللغة. أي أن الأداء لا غنى عنه مهما اعتراه من مظاهر القصور. ولذلك فهناك فروع من اللسانيات لم تفقد المتون فيها دورها، حتى مع نقد تشومسكي (McEnery & Wilson 2005:14). وكذلك قرّر ماكنري وولسون (McEnery & Wilson 2005:27) أنه لا غنى في الدراسات اللسانية التاريخية عن الأداء والمتن حيث لا يمكن سؤال المتحدث الأصلي لأنه غير موجود. فالمصادر المتاحة لدينا عن اللغة العربية الفصحى في العصر الجاهلي وصدر الإسلام وما تبعه من عصور إلى عصر النهضة هي المتون فحسب، فليس لنا في اللغة العربية الفصحى إلا أن نقبل بما لدينا من متون لغوية لأنها المصدر الوحيد المتاح لدينا للغة، فلم يعُد لدينا عرب قدامى، ولا حدس ولا لسليقة يمكننا مساءلتها.

أما اعتراض تشومسكي على أهمية المعطيات الكمية؛ فهو يرى كما نقل عنه ماكنري وولسون (McEnery & Wilson 2005:14-6) أنه لا أهمية للمعطيات الكمية بالنسبة إلى اللغوي؛ بل يرى أن جمع المعطيات الكمية عديم الفائدة؛ ولتأكيد فكرته ذكر أنها عديمة الأهمية، ووصفها حرفيا بالتافهة (trivial). وذكر في معرض ازدرائه أن مجيء جملة (أنا أعيش في نيويورك) بشكل أشيع من (أنا أعيش في ديتن

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

أو أوهايو) ليس له قيمة لأي نظرية أو توصيف لغوي. وهذا صحيح، كما ذكر لينقويست (Lindquist, 2009:8-9) في بعض النتائج؛ لكنه لا ينطبق على كل النتائج. ونلاحظ هنا أن تشومسكي اختار مثالا غير مفيد، ولم يرِد لدى لسانيّي المتون، ربما للتقليل من قيمة الخصوم في انتقاء أضعف الحجج والأمثلة وأوهاها. وللرد على هذه الفكرة، يمكن القول إن المتن اللغوي مصدر مهم وأداة ضرورية للمعطيات الكمية التي بدورها أثمرت نتائج جيدة للغويين، مثل دراسة سفارتفيك (Svartvik, 1966)، فالتعامل الآلي/الحاسوبي مع إعراب الكلمة ووسمها (part of speech tagging) أثمر نتائج لا يمكن لها أن تتحقق دون المتون (لنقاش موسع حول هذا الأمر، راجع: McEnery & Wilson 2005:14-6؛ و Lindquist, 2009:8-9).

سننتقل إلى فكرة مهمة لدى تشومسكي ومدرسته ولدى المدافعين عن لسانيات المتون، ألا وهي التأمل ومكانته لدى الباحث والمحلل اللغوي.

التأمل في لسانيات المتون وفي اللسانيات بعامة

تذكر لنا المصادر اللسانية (انظر مثلا: Lindquist, 2009:8-9) أن التأمل يعدّ لدى اللسانيين التوليديين الوسيلة الرئيسية لجمع البيانات تحقيقا لأهم مبدأ لديهم في دراسة النحو العقلي (mental grammar) لدى المتحدث النموذجي (المثالي) أي ما يحدث داخل عقله. وفي توصيف ذلك اللساني المتأمل، سكّ فيلمور (Fillmore, 1992) مصطلح (اللغوي ذي الكرسي الوثير) (armchair linguist) (وانظر أيضا: Lindquist, 2009:8-9)، أي أنه لا يكلف نفسه عناء البحث التجريبي؛ بل يجلس على كرسيه الوثير في برجه العاجي متأملا ثم يطلق الأحكام اللغوية. وقد نقل عنه ماكنري وولسون (McEnery & Wilson 2005:15) تصويره الظريف هذا في معرض نقاشه حول منهج التأمل بالنسبة إلى اللغوي؛ إذ يقول: (Fillmore,1992:35): «إنه [اللغوي] يجلس على كرسي ناعم يفكر بعمق وعيناه مغمضتان ويداه مطوقتان خلف رأسه ثم فجأة يفتح عينيه ويجلس صارخا (واو ما هذه الحقيقة المنضبطة neat fact)! ثم يمسك قلمه ويكتب شيئا ما.. وليس بفعله هذا أقرب إلى معرفة ماهية اللغة من غيره". ففيلمور يرى أن تأمله لا يجعله أقرب

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

إلى الحقيقة اللغوية من غيره ممن يسلك طريقا آخر.

على كل، وصف فيلمور (Fillmore, 1992:35) اللغوي المستريح الذي ينظّر من على كرسيه الوثير ويعتقد أن تنظيراته حقائق حول اللغة، ثم أعقبه باللغوي المتني الذي يستخلص ما يراه حقائقه الثانوية (معطيات المتن) من حقائقه الأولوية (المتن بصورة مبدئية). ثم عقب بخلاصتين مهمتين نابعتين من ملحوظاته في عمله على المتون، و تمثل هاتان الخلاصتان في رأيي رأيا منصفا غير متحيز لا إلى المتون ولا ضدها:

الأولى: أنه لا يوجد متن مهما كبر غطى كل ما يريده حول المعجم والنحو الإنجليزي.

الثانية: أنه مهما صغر المتن الذي عمل من خلاله فقد تعلم أشياء جديدة لم يكن يعرفها من خلال أي قناة أخرى غير هذه المتن الصغير (لا التأمل ولا غيره).

ولذلك خلص إلى القول بحاجة اللغوي الوثير إلى المتني وحاجة المتني إلى اللغوي الوثير ليعملا جنبا إلى جنب.

في مقابل ذلك نرى تشومسكي يحتفي بالتأمل، وفي الوقت نفسه يقلل من قيمة منهجية لسانيات المتون؛ إذ يقول في مقابلته مع أندور (Andor, 2004:97):

"لسانيات المتون لا تعني شيئا. فهي شبيهة بما لو قلنا إن الفيزيائيين الكيميائيين بدل اعتمادهم على التجارب سيقومون بتسجيل مقاطع فيديو هائلة لما يحدث في الكون أملا في أنهم سيحصلون على تعميمات أو أفكار من هذا الركام الهائل من الفيديوهات. لكن كما تعلم العلوم لا تقوم بهذا الشكل. وربما هم على خطأ. ربما على العلوم جمع الكثير من البيانات (المعطيات) ليطوروا نتائج منها. إذا أراد شخص القيام بذلك فلا بأس، لكن لن يحصل على دعم من أقسام الفيزياء والكيمياء والأحياء. ونحن في دولة حرة: اعمل ذلك وسوف نحكم عليك بناء على النتائج التي تخرج."

يرى تشومسكي بشكل واضح أن التحليل اللغوي يرجِّح العمليات العقلية الباطنية (التأمل) مصدرا وحيدا للمعطيات اللغوية على حساب المعطيات الملاحَظة (انظر حول نقاش هذه الفكرة: McEnery & Hardie, 2012:25). على كلٍ فهو يقر بأن سبب تبني التأمل هو أنه ينتهج في ذلك المنهج الدارج في عصره في علوم الفيزياء والعلوم الحيوية والطبيعية وفي قسمه العلمي.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

على أية حال يرى ماكنري وهاردي (McEnery & Hardie, 2012:25-6) أن تأثير تشومسكي يعتمد على الدرجة أكثر من كونه يلغي كليا منهج لسانيات المتون؛ إذ حتى اللغويون الذين يعملون تحت مظلة مذهب تشومسكي بشكل عام سيقومون في وقت ما بجمع عينة صغيرة من متن لغوي، وقد ظلت المجلات العملية تقوم على المتون، وإن كان اعتماد اللغويين الأكبر على العمليات العقلية الباطنية للعقل (التأمل). ومما أسهم في انتعاش لسانيات المتون وازدهارها في رأيي أنه وجد فريق من الباحثين يستخدمون منهجية المتون في البحث اللغوي (السياق اللغوي: المتصاحبات والخطاب) ولم يكونوا تبعا لتشومسكي في تقليله من لسانيات المتون وجدواها العلمية في البحث اللساني.

وهناك موقف وسط أسهب فيه لينقويست (Lindquist, 2009:10) وهو أنه يجب أن ننبه على عدد من المحاذير، منها: أنه نظرا إلى كون الجمل المنتجة لانهائية فلن تكون المتون شاملة لكل ما يمكن إنتاجه من المتكلم بأي لغة (قارن بكلام فيلمور السابق). وإن بعض النتائج فعلا تافهة (وهذا موقف فيه تأييد لتشومسكي) وغير ذات أهمية. وإن سليقة المتحدث الرسمي لن يستغنى عنها لتحديد ما هو نحوي من غيره (وهذا أيضا تأييد للتوليديين، وقارنه بكلام فيلمور). وإنك سوف تحتاج نظرية لغوية لتبحث عن شيء معين في المتن أو تشرح ما تجده فيه، أي أنك لست خالي الذهن تماما (قارن المقاربة المعتمدة على المتون، والمقاربة الموجّهة بالمتون). وقد صارت لسانيات المتون في هذه الأيام أعقد نظريا ، وتنبه لسانيوها لإيجابياتها وللتحفظات عليها... كما أن المتون يستخدمها كثير من اللغويين واللسانيين الذين لا يصنفون أنفسهم على أنهم لسانيو المتون، فالمتون ومنهجية المتون وأدواتها تستخدم مع أدوات أخرى لدى الباحثين في اللسانيات الإدراكية، والباحثين في اللسانيات الوظيفية، والباحثين في اللسانيات التاريخية، والباحثين في علم الدلالة، وغيرها من علوم اللغة الأخرى. وبهذا، ربما نعتبر لينقويست وفيلمور متقاربين في كونهما لا يرفضان لسانيات المتون مطلقا ولا يقبلان بها مطلقا.

ونؤكد ما ذهب إليه ماكنري وولسون (McEnery & Wilson 2005:15) من أنه يجب ألا نستبعد التأمل كليا، لأننا بذلك لن نستطيع معرفة الجمل المخالفة للقواعد (غير الواردة في المتن) ولا فك الغموض؛ بل على لسانيات المتون أن تعتمد

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

التأمل مع المعطيات الطبيعية، ولا تغفل التأمل كليا، ولا السليقة والحدس، فالسليقة والتأمل (وما يعتمد عليه من سليقة وحدس) في مقابل التجريب والشواهد مسلكان متكاملان لا خصمان متضادان، ويجب النظر إليهما على أنهما متكاملان وليسا متناقضيْن (ماكنري وولسون McEnery & Wilson 2005:19, 25 ,24)؛ بل ذهب فيلمور أبعد من ذلك فقرر (Fillmore 1992:35) أن لسانيي المتون ولسانيي غير المتون يحتاجون إلى بعضهم البعض. كما رد ماكنري وولسون (McEnery & Wilson 2005:14,15) على معارضة تشومسكي للتكرار؛ إذ يرى أن جمع المعطيات الكمية عديم الفائدة بأنه لو افترضنا أن لساني المتن عبد للمعطيات المتاحة فكذلك غير المتني سيكون تابعا لنزوة خياله وتأملاته النظرية [من برجه العاجي] وعبدا لها كذلك.

وبتأكيد فكرة التكامل بين منهجية التأمل ومنهجية لسانيات المتون يتميز البحث اللغوي الذي يقوم عليهما عن البحث الحاسوبي الصرف في هذا الميدان، وينبهنا إلى خطورة الحاسوبي الصرف لوحده؛ فلا بد من أن يكون للتأمل دوره المهم في لسانيات المتون، لا أن نكون مبهورين بما أنتجته لنا التقنية ونهمل الدور التقليدي للغوي وحدسه؛ بل ذاتيته.

وقد ذكر لينقويست (Lindquist, 2009:10) أنه حتى الباحثون ذوو الخلفية النهجية التوليدية بدأوا يعون أهمية المتون على الأقل لاختبار الفرضيات، أي استخدام المنهج المعتمد على المتون. كما نقل (Lindquist, 2009:10) عن واسو (Wasow, 2002:163) أنه مع توفر البيانات اللغوية المستخدمة طبيعيا وتوفر الأدوات البحثية ذات التعقيد العالي فلا يوجد عذر مقبول لمن لا يختبر النتاج النظري بالمتون الطبيعية.

في هذا الإطار، لا بد لنا من الإشارة إلى المناهج المتعددة التي تفرعت منها لسانيات المتون والتي كانت نتيجة مباشرة للانتقادات الموجهة إليها، خاصة قضية التأمل بوصفه أداة بحث كبرى يعتمدها اللساني في تحليله اللغوي، هذه الانتقادات أسهمت كما يذكر ماكنري وولسون (McEnery & Wilson 2005: 25) في التنبيه إلى ضرورة إعادة النظر في منهجية البحث المعتمد على المتون بوصفها منهجية بحث في اللسانيات والحقل اللغوي بعامة، مع عدم التقليل من أهمية الدراسات الكمية اللغوية (المتون). وهذا موضوع الفقرة التالية.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

إعادة النظر في منهجيات لسانيات المتون

نؤكد بداية أن موقف تشومسكي السلبي من معطيات المتون يتأسس على مبدأ مهم لديه وهو أن هذه المعطيات لا يمكن استخدامها مصدرا للمعرفة (knowledge) حول طبيعة اللغة (McEnery & Hardie, 2012:147). هذا التأصيل الإبستمولوجي قاد الباحثين إلى التفريق بين عدة منهجيات في لسانيات المتون ومحاولة مواءمتها مع المنهج العلمي السائد، ولهذا يمكن القول إن المنهجيات تفرعت إلى ثلاث مقاربات رئيسة، هي:

المقاربة الموجَّهة بالمتون (Corpus-driven approach)

المقاربة القائمة/ المعتمدة على المتون (Corpus-based approach)

المقاربة المستأنسة/ المستعينة/ المدعومة بالمتون (Corpus-informed approach).

وسنحاول في الفقرات التالية توضيح الفروق بين كل من هذه المقاربات الثلاث. وسيستخدم مصطلح منهجية مع مصطلح مقاربة للدلالة على المفهوم نفسه.

بادئ ذي بدء، لا بد من الإشارة إلى أن استخدام هذه المصطلحات يختلف من باحث إلى آخر، كما أن الفروق بينها ليست حدية واضحة المعالم خصوصا عند التطبيق. نقول هذا على الرغم من المحاولات الجادة التي قام بها الباحثون للتفريق بين هذه المنهجيات أو المقاربات. وسنحاول في الفقرات اللاحقة تسليط الضوء على النقاش المستفيض بين الباحثين في رسم معالم هذه المنهجيات وحدود التفريق بينها.

وعلى كلٍ فأتفق مع توقنيني (Tognini-Bonelli, 2001، مذكور في Lindquist, 2009:10) في أن هذه المناهج تمثل متصلا طيفيا ما بين متقابلين، يقع بينهما تطبيقات المتون لدى كثير من اللغويين على اختلاف في درجة القرب بين الحدين كما هو موضح في الشكل التالي:

المنهج الموجه بالمتون ----------

---------- المنهج المعتمد على المتون

بالإضافة إلى ذلك، جادل ماكنري وزملاؤه (McEnery et al. , 2006:8) في أن التفريق إلى حد ما "مبالغ فيه" وأن هذه المواقف التي تنظر إلى هذه المناهج بحدية صارمة ينبغي النظر إليها على أنها "متشددة". وفي رأيي أنها نظرية لا تعكس الواقع

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

التطبيقي تماما.

فاللسانيات الموجّهة بالمتون (corpus-driven linguistics) أو ما يسمى المذاهب الموجهة بالمتون يكون البحث فيها مُنقادا بما يجده الباحث في المتن من معطيات، وهو كما ذكرت توقنيني (Tognini-Bonelli, 2000، وانظر أيضا: المجيول 1436: 240؛ وكذلك بول بيكر 1435: 180) يقوم على النظر إلى المدونة (المتن) وملاحظة المسائل اللغوية أو الصرفية أو التركيبة أو الدلالية أو السياقية والتوجه من المتن إلى صياغة فرضيات البحث وأسئلته. فالمتن في هذا المنهج كما يشير الاسم، يوجه الفرضية اللغوية ويقودها. والباحث يستخدم «المتن وفي ذهنه بعض الأفكار والفرضيات ليصل إلى التحليل اعتمادا على المتن» (Tognini-Bonelli, 2001، مذكور في Lindquist, 2009:10). إذن فالمذاهب "الموجهة بالمتون تميل إلى استخدام متن بطريقة استقرائية لأجل بناء فرضيات حول اللغة، وليس بالإشارة [أو الإحالة] إلى إطارات لغوية موجودة" (بول بيكر 1435: 180، ما بين المعقوفين زيادة من الباحث). وقيل عن بعض اللسانيين من ذوي "اللسانيات الموجهة بالمتون" إنهم ملتزمون بـ "سلامة البيانات كلا متكاملا" (Tognini-Bonelli, 2001:84)" (بول بيكر 1435: 180). فالبيانات برمتها أساس في حسبان اللسانيين المنتهجين هذا المنهج. والبيانات كلها معتبرة لدى اللغوي في صياغته لفرضيته. وهي شبيهة إلى حد ما بتطبيقات النظرية المجذرة وإجراءاتها (Grounded Theory) أو تصميمات البحوث المرنة (Flexible design) (انظر حول هذه النظرية والتصميمات: Rob-son, 1993). وهو ما تحدث عنه القاسمي (2014: 313) قائلا: "فالباحث هنا لا يملك تصوّراً مسبقاً للوصف اللغويّ، ولا إيماناً بنظريّة معيّنة. وإنّما يستخلص نتائجه من ملاحظته على الاستعمال الفعليّ كما تقدّمه المدوَّنة". فالمتن نفسه مولِّد للفرضية (hypothesis generating).

في الضفة المقابلة من هذا الطيف، تقع المذاهب أو ما يسمى المنهج المعتمد على المتون (Corpus-based) الذي يتوجه البحث فيه إلى المتن مع افتراضات وفرضيات وأسئلة يحاول أن يجيب عنها ويحللها ويفسرها بما يجده في المتن (Tognini-Bonelli, 2000، وانظر أيضا: المجيول 1436: 240، وكذلك بول بيكر 1435: 180).

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

فالمتن هنا نقطة اعتماد وليس نقطة توجيه وقيادة، وهو مرتكز لاختبار الفرضية أو القاعدة النحوية وتفسيرها وليس مولّدا لها ولا موجها (انظر أيضا: Togn-ini-Bonelli, 2001، مذكور في Lindquist, 2009:10). وكما ذكر بيكر "تميل اللسانيات القائمة على المتون إلى استخدام المتون لأجل اختبار أو صقل {تهذيب} فرضيات موجودة مأخوذة من مصادر أخرى" (بول بيكر 1435: 180).

وبسبب أن المتن ومعطياته ليست مركزية في التحليل اللغوي فقد ذكر بيكر (بول بيكر 1435: 180) أن بعضا من «اللسانيين من ذوي التوجه القائم على المتون اتُهموا بتجاهل الأدلة غير الملائمة التي لا تناسب نظرية ما قبل المتون»، أي أنهم يقدمون النظرية والفرضية اللغوية على ما جاء به المتن، ويعدون المتن ذا درجة متأخرة أو ثانوية تستخدم دعما للفرضية. وفي ظني أنها شبيهة إلى حد ما بتطبيقات تصميمات البحوث الثابتة (Fixed design) (انظر حول هذه التصميمات: Robson, 1993). إذ الباحث "يبحث في المدوَّنة للعثور على الأدلّة التي تدعم وصفه اللغويّ أو لتأثيث نظريّة قائمة بالأمثلة" (القاسمي، 2014: 313). ويمكن أن تعد ممتحنة للفرضية (hypothesis testing).

ومن المهم في هذا الجدل التفصيل قليلا في النقاش الذي أورده ماكنري وهاردي (McEnery & Hardie, 2012) في معرض حديثهما عن هذه المذاهب أو المناهج، فقد ذكرا أن اللسانيات الموجهة بالمتون – مع الأخذ بعين الاعتبار اختلاف التحديد من باحث إلى آخر – قد تشير إلى نوعين من التعريف:

1 - مقاربة الفيرثيين الجدد في اللسانيات (" neo-Firthian approach to corpus linguistics 241").

2 - المنهج المستخدم في المتون والذي يبدأ من الأسفل إلى الأعلى، أو التصاعدي (entirely bottom-up)، وليس من الأعلى إلى الأسفل، أو التنازلي (top down). والمقصود بالأعلى هنا هو التجريد والنظرية؛ وبالأسفل الانطلاق من الشاهد أو المثال في المتن أرضيةً للتقعيد.

وذكر ماكنري وهاردي في مقابل ذلك أن اللسانيات المعتمدة على المتون قد تختلف في تعريفها وتحديدها من باحث إلى آخر وقد تشير كذلك إلى نوعين من التعريف:

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

1 - أي مذهب أو منهج يستخدم معطيات المتون (McEnery & Hardie, 2012:241) فهو هنا يطلق على لسانيات المتون بغض النظر عن الفروق بينها. وأعتقد أن هذا معمول به بشكل أكبر لدى غير لسانيي المتون. فغالبية بحوث المتون تطلق هذه التسمية بغضّ النظر عن المنهجية التي تستخدمها.

2 - المذهب الذي يستخدم مناهج المتون لكن لا تنطبق عليه مبادئ المذهب الآخر (الموجه بالمتون) ولا يشترك معه في مبادئه. فهو هنا يعني أي مذهب يعتمد المتون ولا يمكن عدّه من النوع السابق.

وأضاف ماكنري وهاردي (McEnery & Hardie, 2012:242) نوعا ثالثا رئيسيا أطلقا عليه اللسانيات المستأنسة أو المدعومة بالمتون، وهي التي تستخدم المتون أداة بحث لها لكن لا تهدف ولا تطمح إلى تحقيق مبدأ الإحاطة الشاملة (total accountability). ويمكن لنا أن نستنتج أنهما يقصدان استخدام منهج الاستدلال بالمعطيات في المتون بصورة عارضة وليس أصيلة. وهذا منهج معدود بين المنهجين الرئيسيين السابقين.

ومن المهم الإشارة إلى أن استخدام مصطلح (المقاربة المعتمدة على المتون) أشمل من مقابلها (الموجّهة بالمتون) وقد يعني الجميع، خاصة لمن هم خارج ميدان لسانيات المتون؛ أما إذا استخدم المصطلحان مجتمعين ومتقابلين فهناك فروق دقيقة بينهما، لكن يجب أن نؤكد ما يراه ماكنري وهاردي من أن المبالغة لا تصمد بقوة أمام التطبيق الفعلي، وأنه يجب ألا نبالغ في تضخيم هذه الوجوه من التفريق، بل ننظر إليها على أنها طيف متواصل بين مصطلحين.

من المهم الإشارة ونحن في خضم هذه التفريعات إلى النقاش المطول والثري لدى ماكنري وهاردي (McEnery & Hardie, 2012:147-51) في الفصل الذي عقداه حول هذه المصطلحات، لأنهما ينظران إلى المنهجية من زاوية أخرى تتكامل مع ما نوقش سابقا، ويشرح هذا الفصل موقفهما الذي ينطلق من زاوية تختلف عما سبق، مع أنها لا ترفضه.

فقد تحدثا عن المتن بوصفه نظرية (corpus-as-theory) في مقابل المتن بوصفه منهج بحث أو أداة دراسة (corpus-as-method). فوضّحا أن المعطيات قد تشرح أو تدعم أو تدحض أو تسهم في بناء النظرية اللغوية أو دحضها، وبقدر

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

اعتداد اللغوي بأحدهما (البيانات مقابل النظرية) يمكن أن نفرق بين المصطلحات الواردة. وإن كان في رأيي تفريقا ليس دقيقا تماما.

والفكرة التي يؤكدانها هي: هل استخدم المتن بوصفه المصدر الوحيد للنظرية اللغوية أم لا؟ وهذه مضادة لفكرة تشومسكي؛ أما الفيرثيون الجدد neo-Firthian approach فيرون أنه لا مصدر للتقعيد اللغوي غير المتن. فمصدر تشومسكي التأمل؛ في حين مصدر الفيرثيين هو المتون. فالمنهج الأول يرى أن المتن نظرية corpus-as-theory وأنه في الوقت ذاته الظاهرة اللغوية نفسها، وهي التي ترفض أي فرضية تستخرج مباشرة من المتن. وهي في مقابل corpus-as-method التي ترى أن المتون مصدر من ضمن المصادر المتاحة (ص148).

وقد ذكر ماكنري وهاردي (ص150) أن التفريق بين المنهج المعتمد على المتون corpus-based في مقابل المنهج الموجه بالمتون corpus-driven نُقل عن توقنيني (Tognini-Bonelli, 2001:65-6)، حين ذكرت أن "مصطلح المنهج المعتمد على المتون يستخدم للإشارة إلى المنهجية التي تستخدم المتن لتفسير واختبار وشرح النظريات والتوصيفات التي طُرحت قبل أن يكون المتون متاحا، ... فالمتن يُغربَل..." ويُصفّى بحثا عما هو موجود نظريا قبل وجود المتن؛ في المقابل "يُنظر إلى المتن ليس على أنه مجرد مخزن أو مستودع للشواهد التي تدعم النظريات الموجودة قبلا بل الأطروحات والنظريات تتزامن مع المثال من المتن [الترجمة هنا بالمعنى للتوضيح بما يناسب السياق العربي]، فلا توجد النظرية مستقلة عن المثال بل الملاحظة تؤدي إلى الفرضية التي تؤدي إلى التعميم الذي يؤدي إلى التضام مع الأطروحة النظرية". وقد عقّب ماكنري وهاردي بأن هذا التفريق لا يصمد حين التطبيق العملي، فالعملية تدويرية أكثر من كونها هذا قبل هذا أو هذا ينتج ذاك، أي ذات اتجاه واحد. فمن الواضح أن المنهج المعتمد على المتون لدى توقنيني يفهم على أنه ما أشار إليه ماكنري وهاردي بـ corpus-as-method. وأن المنهج الموجه بالمتون ينظر إليه على أنه منهج الفيرثيين و corpus-is-theory. على أية حال فمصطلح المنهج الموجه بالمتون استخدم ليشير إلى أي بحث تصاعدي استنتاجي (inductive bottom-up) باستخدام بيانات متن خام سواء التزم أم لم يلتزم بمقاربة الفيرثيين الجدد.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

وذكر ماكنري وهاردي (ص151) أن هناك باحثين يستخدمون المصطلحين دون تفريق، فلا يلتزمون بالفرق بينهما بل يستخدمون مصطلح المنهج المعتمد على المتون ليشمل الاتجاهين كليهما. فهناك عدم وضوح في التطبيق للتفريق بين الاتجاهين لأسباب كثيرة منها: أن التفريق بين الاثنين يعتمد درجة الأولوية في استخدام بيانات المتن. كما أن المنهج الموجه بالمتون لا يعتمد على البيانات فقط، ولذلك يمكن القول إن التفريق بين التسميات المتعددة للمصطلحات ملتزم به لكن العبرة بتغليب التنظير في مقابل تغليب المنهجية اللغوية التي تستخدم المتون.

من زاوية أخرى، عالج تيوبرت وسيرماكوفا (Teubert, and Cermakova, 2007) الموضوع من زاوية معجمية إلى حد ما؛ إذ أكدا على تفريق توقنيني (Togni-ni-Bonelli, 2001) بين المنهجين (corpus-based and the corpus-driven approaches) وذلك بأن توصف نتائج الدراسات اللغوية (ويشمل ذلك محتوى المعاجم) بأنها منهج معتمد على المتون إذا كان كل ما يطرح يوثّق ويُفحص بالدليل من المتن؛ في مقابل ذلك توصف النتائج اللغوية بأنها موجهة بالمتون إذا تم استخراجها من المتن بداية ثم بُني عليها فرضية أو حكم لغوي أو تم إعمال العقل المثقف فيها لتسفر عن نتيجة لغوية (results) (ص57).

كما ذكرا (Teubert, and Cermakova, 2007:58) أن المذهب المعتمد على المتون يتعامل مع الإطار النظري الخاص باللسانيات المعيارية (standard lin-guistics)؛ فهذا المذهب يعد مكملا للسانيات المعيارية لكن لا يضيف عليها ما لم تره. فهو (المذهب المعتمد على المتون) يدعم اللسانيات المعيارية وليس مثل الموجه بالمتون الذي يزيد ويضيف عليها (أي اللسانيات المعيارية).

وقد خلصا (Teubert, and Cermakova, 2007:137) إلى أنه سواء نظرنا إلى لسانيات المتون بوصفها نظرية (مشتقة من النظرية: theory) أو إطارا مفاهيميا (conceptual framework) فهي تقدم تصورا حول اللغة يختلف عن التصور المعهود للسانيات الإدراكية التي تعتمد التأمل بصورة أكبر من اعتمادها البيانات الطبيعية (نقلاه عن Teubert 2005:2). فلسانيات المتون تقوم على خلاف ما تقوم عليه اللسانيات التي تعتمد التأمل والحدس مع وجود المنهجين المشهورين: المعتمد على المتون والموجه بها، ويعد المنهج المعتمد على المتون أكثر المنهجين مخالفة للسانيات

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

القائمة على غير المعطيات الطبيعية للغة. وقد عرّفت توقنيني (Tognini-Bonelli, 2001:87) المنهج الموجه بالمتون بأنه يهدف إلى استخلاص التصنيفات اللغوية بشكل منظم من تكرار الأنماط والتوزيعات الشائعة التي تنشأ من اللغة في سياقها الطبيعي. فلسانيات المتون تنظر إلى اللغة على أنها ظاهرة اجتماعية وتركز على المعنى. كما ذكر كرافورد وكسومي (Crawford and Csomay, 2015:9-11) أن توقنيني (Togni-ni-Bonelli, 2001) فرقت بينهما على اعتبار أن المذهب المعتمد على المتون يسترشد بنتائج وقضايا لغوية سابقة ومحددة، فاللساني يستخدم المتن وفي ذهنه أشياء أو أفكار أو قضايا محددة مسبقا. في مقابل ذلك المنهج الموجه بالمتون الذي يستخدمه اللساني وليس في ذهنه قضايا محددة؛ بل يستكشف القضايا من المتن الذي يدرسه مثل قضايا شيوع الأنماط المعجمية أو الأنماط النحوية في متن ما. ويمكن تشبيه ذلك بالنظرية العلمية المجذرة التي تنطلق من الميدان بلوغا إلى التجريد أو ما تسمى البحوث المرنة (انظر Robson, 1993). فالباحث إما أن يخوض غمار المتن وهو محدد عما يبحث أو أن يخوضه مفتوح الاحتمالات على القضايا محل الدراسة.

خاتمة:

عرض هذا البحثُ الجدل الدائر حول لسانيات المتون (المدونات) اللغوية، ما بين مؤيد لها، ومنتقص منها. وعرض بشيء من التفصيلات الإشكالات التي أوردها رافضوها، وهي إشكالات لا تخص لسانيات المتون وحدها بل تطال كل ميدان يستخدم المعطيات اللغوية ويعول عليها في البحث اللغوي. كما ناقش بشيء من الإيجاز علاقة ذلك بالتقعيد النحوي العربي. وختم بمنهجيات لسانيات المتون المتعددة التي نشأت من جراء الجدل العلمي العميق. ويخلص البحث إلى تأييد فكرة أن لسانيات المتون منهج معتبر لا يستغني عن اللغوي ولا يستغني عنه اللغوي لا جزئيا ولا كليا، ومن لا يرى عمقه المنهجي يقبله على علّاته وحدوده التي يعترف بها مؤيدوها. ونتفق مع نيلسون (Nelson, 2000 in: McEnery et al., 2006:131) في أن الموقف العدائي الذي يتبناه تشومسكي قد فقد مصداقيته في السنوات الأخيرة بحيث لم تعد أهمية المتون مثار سؤال بداية. وأشار ماكنري وزملاؤه (McEnery et al. , 2006:144) إلى عدة نقاط مهمة، منها: أن المناهج المبنية على الحدس ليست

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

معادية للمناهج المبنية على المتون بل ينبغي النظر إلى النوعين على أنهما متكاملان، كما أن الإفادة من المتون تعتمد بشكل كبير على ما يطرحه الباحثون من أسئلة بحثية وما يستخدمونه من أدوات ومناهج للإجابة عن تلك الأسئلة، كما يجب أن نعلم أن المتون ليست بالضرورة قادرة على الإجابة عن كل ما نراه في المتن، وهذه المحدودية في القدرات لا ينبغي أن تكون سببا لطرحها جانبا، وأخيرا تبقى المتون أداة ومنهجية ذات قيمة كبرى في التحليل اللغوي وكذلك في تعليم اللغة.

المراجع (العربية والمترجمة):

- الأفغاني، سعيد. 1407. في أصول النحو. المكتب الإسلامي. بيروت.
- بيكر، بول. 1435. مناهج المتون في اللسانيات. في: مناهج البحث في اللسانيات. تحرير: ليا ليتوسيليتي. ترجمة: صالح بن فهد العصيمي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: معهد الملك عبدالله للترجمة والتعريب. 177–219
- الثبيتي، عبدالمحسن بن عبيد. 1436هـ. تصميم المدونات اللغوية وبناؤها. في: المدونات اللغوية العربية، بناؤها وطرائق الإفادة منها. تحرير صالح بن فهد العصيمي. مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية. 147–178.
- ابن جني، عثمان. 1952. الخصائص. تحقيق محمد النجار. الطبعة الثانية دار الكتاب العربي، بيروت: لبنان.
- حسان، تمام. 1411. الأصول (دراسة إبستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي). دار الثقافة، الدار البيضاء: المغرب.
- روبنز، ر. ه. 1997. موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب). ترجمة: أحمد عوض. عالم المعرفة. الكويت.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. 1413. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تحقيق وشرح: عبد السلام هارون وعبدالعال سالم مكرم. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. 1427هـ. الاقتراح في أصول النحو. تحقيق: عبد الحكيم عطية وعلاء الدين عطية. دار البيروتي، دمشق.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

العصيمي، صالح .2013. لسانيات المتون وعلوم اللغة. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المزار- فاس: جامعة سيدي محمد بن عبدالله، العدد -19 السنة الخامسة والثلاثون: 37-67.

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري. 1400 هـ. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه. الطبعة: العشرون.

العميريني، محمد. 1423هـ. الاستقراء الناقص وأثره في النحو العربي. رسالة دكتوراه غير مطبوعة. كلية اللغة العربية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

عيد، محمد. 1988. الطبعة الثالثة. الاستشهاد والاحتجاج باللغة (رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث). عالم الكتب. القاهرة.

القاسمي، علي. 2014. صناعة المعجم التاريخي للغة العربيّة. لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.

المجيول، سلطان بن ناصر. 1436هـ. البحث اللغوي في المدونات العربية الحاسوبية بين الممكن والمحتمل والمأمول. في: المدونات اللغوية العربية، بناؤها وطرائق الإفادة منها. تحرير صالح بن فهد العصيمي. مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية. 235-281.

المراجع الإنجليزية

- **Abercrombie, D. 1965**. Studies in Phonetics and Linguistics. London, Oxford University Press.
- **Andor, J. 2004**. The Master and his Performance: An Interview with Noam Chomsky. Intercultural Pragmatics, 1 (1): 93-112.
- **Bloom, L. 1970**. Language Development: Form and Function in Emerging Grammars. Cambridge, MA: MIT Press.
- **Boas, F. 1940**. Race, Language and Culture. New York. Macmillan.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

- **Brown, R. 1973**. A First Language: The Early Stages. Cambridge, MA: Harvard University Press.
- **Chomsky, N. 1962**. Paper given at the University of Texas 1958, 3rd Texas Conference on problems of Linguistics Analysis in English, Austin: University of Texas.
- **Chomsky, N. 1964**. Formal Discussion. In Bellugi and Brown 1964, 37-9.
- **Chomsky, N. 1965**. Aspects of the Theory of Syntax. Cambridge, MA: MIT Press.
- **Chomsky, N. 1980**. Rules and Representations. Oxford: Blackwell.
- **Cook, V.J and Mark Newson. 2007**. Chomsky's Universal Grammar: An Introduction. Blackwell Publishing. Third edition.
- **Crawford, W. and Eniko Csomay. 2015**. Doing Corpus Linguistics. Routledge.
- **Crystal, David. 1980**. A Dictionary of Linguistics & Phonetics. Fifth Edition. Blackwell Publishing.
- Doyle, Paul. 2005. Replication and Corpus Linguistics: Lexical Networks in Texts.
- **Fillmore, C. 1992**. Corpus Linguistics or Computer-Aided Armchair Linguistics. In J. Svartvik (ed.). Directions in Corpus Linguistics: Proceedings of the Nobel Symposium 82, Stockholm, 4-8 August 1991, 35-60. Berlin: Mouton de Gruyter.
- **Harris, R. A. 1993**. The Linguistics Wars. Oxford: Oxford University Press.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

- **Harris, Z. 1951**. Methods in Structural Linguistics. Chicago: University Chicago Press.
- **Hockett, C. F. 1948**. A Note on Structure. International Journal of American Linguistics. 14: 269-71.
- **Labov, W. 1969**. The Logic of Non-Standard English. Georgetown Monographs on Language and Linguistics 22. Reprinted in P. P. Giglioli (ed.). Language and Social Context. London: Penguin, 1992.
- **Landau, Sidney. I. 1984**. Dictionaries: The Art and Craft of Lexicography. Cambridge University Press. 2nd edition.
- **Leech, G. 1991**. The State of the Art in Corpus Linguistics. In: Karin Aijmer and Bengt Altenberg (eds). English Corpus Linguistics: Studies in Honor of Jan Svartvik. Longman: London.
- **Lindquist, Hans. 2009**. Corpus Linguistics and the Description of English. Edinburgh University Press.
- **McEnery, Tony & Andrew Hardie. 2012**. Corpus Linguistics: Method, Theory and Practice. Cambridge Textbooks in Linguistics.
- **McEnery, Tony & Andrew Wilson. 2005**. Corpus Linguistics. Edinburgh: Edinburgh University Press. 2nd Edition.
- **McEnery, Tony, Richard Xiao and Yukio Tono. 2006**. Corpus-Based Language Studies: an advance resource book. Routledge Applied Linguistics.
- **Millikan, R.G. 2003**. In Defense of Public Language. In L. M. Antony and Hornstein (eds). Chomsky and His Critics. Oxford: Blackwell.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

- **Nelson, M. 2000**. A Corpus-based Study of Business English and Business English Teaching Materials. PhD thesis. University of Manchester. www.kielikanava.com/thesis.html.
- **Popper, K. 2006**. Logic of Scientific Discovery. New York: Routledge.
- **Robson, C, 1993**. Real World Research. Blackwell Publishing. 2nd Edition.
- **Stockwell, P (ed.). Trask, R. L. 2007**. Language and Linguistics: the Key Concepts. 2nd edition. Routledge: Taylor & Francis Group.
- **Svartvik, J. 1966**. On Voice in the English Verb. The Hague: Mouton.
- **Svartvik, J. (ed.). 1992**. Directions in Corpus Linguistics. Berlin: Mouton De Gruyter.
- **Tognini-Bonelli, E. 2000**. Lexis in contrast. In: Granger, S. and Altenberg, B. (eds). Studies in Corpus Linguistics. Benjamins, Amsterdam. 3-48.
- **Tognini-Bonelli, Elena. 2001**. Corpus Linguistics at Work. John Benjamins Publishing.
- **Teubert, W. 2005**. My Version of Corpus Linguistics. International Journal of Corpus Linguistics. 10 (1), 1-13.
- **Teubert, Wolfgang and Anna Cermakova. 2007**. Corpus Linguistics: A Short Introduction. Continuum.
- **Wasow, Thomas. 2002**. Post-verbal Behavior. Stanford: CSLI

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً